روائع القصص

100 قصة من قصص الصالحين وحكمهم

أيمن عبدالعزيز جبر

دار الحضارة

obeikandl.com

روائع القصص

جميع حقوق الطبع محفوظة

الإيداع القانوني رقم: 2000-1216

ردمك: ISBN 9961-907-65-5

دار الحضارة: ص.ب 04 بئر التوتة ولاية الجزائر

obeikandl.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فهذه قصص وحكم اخترتها بعناية ليأخذ منها المعتبرون عبرتهم مصداقاً لقوله تعالى ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾ وإن النفوس بطبعها لتسأم كما تسأم الأجساد، وإن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، ولا بد لها مما يروح عنها من القصص الصحيحة والحكم النيّرة المأخوذة جميعها من السنّة المطهرّة وحياة الصالحين وأحوالهم .

وقد استعنت بمجموعة من الكتب، الرائعة بمحتواها ككتاب الأستاذ علي الطنطاوي «رجال من التاريخ»، حيث أخذت منه ثلاث قصص بأكملها، وكتاب «مختارات إسلامية» للأستاذ حلمي عبد الحميد، وكتاب «أنيس المؤمن» للشيخ صفوت المختار وهي جميعاً كتب غاية في الروعة، واستعنت أيضاً ببعض المراجع الأخرى .

سائلاً اللّه عز وجل أن يهدينا إلى سواء الصراط آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

أيمن عبد العزيز جابر

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

شيخ من دمشق

هذه هي قصة شيخ من دمشق، شيخ قال عنه السبكي : إنه لم ير مثله الناس، ولم ير هو مثل نفسه .

شيخ لم يكد يرى تاريخ الإسلام في كل عصوره عشرين من أمثاله .

شيخ كان مفكراً بأحسن ما يكون المفكرون، كان فقيهاً : فقيه النفس لا فقيه الحفظ. وكان له في الشريعة النظر الواسع المحيط بأسرارها، الملم بأصولها وحكمها، والنظر الدقق الذي ينفذ به إلى بواطن المسائل، ويدرك حوافيها، كان يفكر بدماغ من حجيرات مملوءة بالحياة والعبقرية، لا يفكر بعقل من ورق الشروح والحواشي .

شيخ فرغ من شهوات بطنه، وشهوات غريزته، وشهوات المجد والغنى والجاه. وهانت عليه الدنيا فلم يطلب لنفسه شيئاً منها، فجاءه منها كل شيء : المجد والجاه والمنزلة التي خضعت له بها الدنيا .

شيخ كان يهابه الملوك، ويطيعه الشعب، ويذل أمامه الجبارون .

شيخ كان له الموقف الذي أنقذ الله به الحضارة، وحفظ الاسلام، وحوّل مجرى التاريخ.

✿ ✿ ✿

كانت مصر في رجّة رعب وجزع، لقد أقبل عليها السيل الجارف، الذي اجتاح في طريقه كل شيء من أقاصي المشرق إلى أطراف الشام : المغول والتتر، الذين كانوا تائهين وراء صحاريهم، كلما رأوا غفلة من دولة الاسلام، أغاروا على جانبها، فلا تزال جيوشها تطاردهم حتى تلجئهم إلى صحاراهم كما تلجأ الذئاب الكاسرة، إذا دفعتها عن منازل القرية، فتتركهم وتعود، لأنها لا تجد لهم مجداً فتهدمه، ولا بلداً فتملكه، ولا راية فتطويها، حتى نجم فيهم محارب من أفذاذ المحاربين، مقاتل خطر بطاش هو جنكيز خان، وكان المسلمون قد صاروا دولاً وانقسموا أقساماً، فتمكن جنكيز جان منهم، فأودى بأقرب ملك

إليه منهم، خوارزم شاه، وفتح الباب لخلفائه ليسيروا نحو المغرب. وتساقطت إمارات الإسلام، واحدة بعد واحدة، بظلم أمرائها، وخيانة ولاتها، وانقسام شعوبها، حتى كانت المصيبة الكبرى، فسقطت بغداد، وهوى تاج الخلافة .

وكانت بغداد أم الدنيا، وكانت بغداد قصبة الأرض، وكانت بغداد مثابة العلم والفن والذهب والجمال. تلتقي كلها فيها وتنتهي إليها، كما تنتهي مياه الجداول إلى لجّ البحر .

لم تجمع بلد ما جمعت بغداد من ثمرات العقل المفكر، واليد المبدعة، وما يصنع المال، وتعمل القوة، وتأتي به الحضارة.

فلم تكن إلا كرة واحدة فإذا عمران بغداد خراب، وأنسها وحشة، وجمالها تشويه، وكتبها التي أودعت حصاد العقول وثمرات القرائح، تلقى في دجلة حتى يسوّد حبرها ماء دجلة .

وإذا المجد والخلافة والجاه تطمس كما يطمس السطور البنان .

سقطت بغداد، وانكسر السدّ، فانطلق السيل، وساح في كل واد، وانبعثت النار، وامتدت ألسنتها تضربها الرياح الأربع فتسوقها إلى كل مكان. وخرج يأجوج ومأجوج، وذهبوا يفسدون في الأرض .

وانبعثت جيوش هولاكو كالجراد، يأكل الأخضر اليابس : يأكل المدن والأمجاد والحضارات .

فمنذا يوقف السيلَ بعد ما اجتاح المشرق كله والعراق والشام ؟

منذا يطفىء النار وقد أكلت بغداد أم الدنيا ؟

منذا يرد يأجوج ومأجوج، بعدما انتشروا في الأرض ؟

أي جيش يقف أمام جند هولاكو بعدما تمزق جيش الخلافة، وهوت راياته وديست أعلامه ؟

لم يبق في دنيا الإسلام إلا مصر، فهل تقدر مصر على ما عجزت عنه دنيا الإسلام كلها من أقصى خراسان إلى أدنى الشام ؟

مصر التي زال عنها سلطان الأيوبيين، حَفدَة صلاح الدين، وقام عليها حكام من مماليك الأتراك. عبيد غرباء يشترون بالأموال، عبيد أجانب يحكمون أحرار العرب، ويا ويل أحرار العرب إن حكمهم عبيد أجانب !

وكان ملك مصر ولد جاهل غرير، ما أعطي الملك لأنه أقوى الناس عزماً، ولا لأنه أكثرهم فهماً، ولا لأنه أشدهم علماً، بل لأنه ابن معز الدين ايبك .

وكانت حكومة المماليك شر حكومة، همُّ رجالها، ملء صنادقيهم بالذهب، وملء بطونهم بالطيبات، وملء قصورهم بالمماليك والمملوكات ..

فماذا تصنع مصر التي لم تكن شيئاً ؟

إن مصر، يا سادة، كانت تملك شيخاً دمشقياً نزح إليها، وسكن فيها، وصار قاضي البلد، وخطيب الجامع. شيخ في قلبه إيمان لو صبّ في الحجر الصلد لا نبجست منه الحياة، ولو وجه إلى الجبل الراسي لأزاح الجبل .

شيخ كان يعلم أن هذا الشعب، الذي هزّه محمد ﷺ حتى أفاق وفتح الأرض، لا تزال في نفسه آثار البطولة التي فتح بها الأرض. إن في عروقه ذكرى المعارك المظفرة التي خاضها، والدماء الزكية التي أراقها، والنصر الأبلج الذي انتزعه من كل عدو، كان يعلم أن هذا الشعب ما دُعي مرة إلى التضحية والجهاد إلا لبى، لأن في نفسه الإيمان الذي يحوّل الهزيمة ظفراً، والضعف قوة، والفقر غنى، ويصنع من الحجر قنبلة، ومن العصا سيفاً ماضياً، وصرخ الشيخ بأهل مصر : يا أهل مصر اثبتوا واستعدوا وحاربوا، وأنا أضمن لكم على اللّه النصر .

أيقظ الشعب الذي نامت في صدره البطولات، فاستيقظ، وجمع الأمراء، فذكرّهم

كيف جاؤوا مماليك فجعلهم هذا البلد ملوكاً، فمن حقه عليهم أن يدافعوا عنه، عن حياتهم فيه وسعادتهم، عن الحضارة التي أظلتهم بظلالها، وجاء هؤلاء التتر ليقتلعوها من جذورها، عن الاسلام الذي هداهم اللّه إليه وشرّفهم به .

فاستقادوا إليه، وعزلوا الولد الذي كان ملكاً، وأمّروا عليه الطل القوي، والمحارب المتمرّس بالحروب، الأمير قطز وسموه الملك الظافر .

وقال الأمراء ليس عندنا أموال، فاطلب من الناس أن يتبرعوا لنا، للجيش. قال الشيخ : لا. حتى تخرجوا ما عندكم، وما في قصوركم من الذهب والفضة، وما عند نسائكم من الحلي، وأن تخلصوا في البذل لله وحده، ليأتيكم منه النصر .

وحرك قلوبهم فتنبهه فيها الإيمان، فأخرجوا ما عندهم، ورأى الناس ذلك فتسابقوا إلى البذل والجود، وكثرت الأموال، فأعدّوا العدة، وجمعوا السلاح، وأقيمت معسكرات التدريب في كل مكان، واهتزّت البلدة بالهتاف والتكبير، حتى لكأن كل مصري قائد مظفّر، وحتى صار كل مصري يشتهي الوصول إلى المعركة، كما يشتهي المحب وصال الحبيبة، والشيخ يعمل دائباً، كلما خبت شعلة الإيمان في بعض النفوس زادها من إيمانه ناراً ونوراً. فكانت كل كلمة منه فرقة جديدة في جيش الجهاد .

وخرج الجيش المصري على أتم هيئة، وأكمل استعداده، تتقدمه فرسان المماليك. ولئن كان المماليك حكام سوء، لقد كانوا والحق يقال أرباب حرب، وأبطال قتال .

وبلغ الجيش بيسان في رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأراد أن ينحدر من أعالي الهضبة إلى عين جالوت، فوجد تحته السيل الذي جرف عن طريقه كل شيء من صحاري تركستان وأطراف الصين، إلى عين جالوت : جيش المغول والتتر، وكاد الجزع يخالط نفوس أجناد هذا الجيش الصغير، لما رأوا هاتيك الجموع، وذكروا كم اجتاحت في طريقها من جيوش كانت أجل وأعظم من هذا الجيش، فما صنعت مع هذه الجموع صنيعاً، ولكن الشيخ قام يذكرهم ما ضمن لهم من النصر، استنجازاً لوعد اللّه، واعتماداً على قوله : ﴿**إن تنصروا اللّه ينصركم**﴾ .

فغلى الدم في العروق، وضربت الحماسة أقحاف الرؤوس، ونزل جيش مصر، نزول الموت، يحث جنده الخيل، يتسابقون إلى النصر والشهادة .

وكانت معركة خاف فيها الخوف، وذعر فيها الذعر، وانجلت عن.. ظفر المصريين .

يا أيها السامعون لقد انهزم التتر الذين دكوا في طريقهم كل قوة، واخترقوا كل جيش. انهزموا أمام الإيمان الذي أذكاه في النفوس هذا الشيخ الدمشقي .

انهزموا وأنقذ اللّه مصر، وأنقذ اللّه دنيا الإسلام، وأنقذ اللّه الحضارة والتمدن والعمران، وضمّت معركة عين جالوت إلى سلسلة المعارك المقدسة، التي خضبناها دفاعاً عن الحق والخير والعدل : بدر والقادسية واليرموك وجبل طارق وحطين .

أما الشيخ فهو.. هو لقد انتهى الوقت أيها السامعون. وستعرفون قصة هذا الشيخ في مثل هذه الساعة من يوم الجمعة القادم .

هو عز الدين بن عبد السلام. عالم من علماء بلدكم دمشق، وقاض من قضاتها وخطيب من خطباء جامعها الأموي، ولكنه ليس كمن تعرفون من العلماء والخطباء، وليس من أمثالنا من القضاة، وليس فينا من يشبهه أو يقاربه، ليمثل عليه به. إنه من طراز نادر لا تجود الدنيا بمثله إلا مرة واحدة في القرون الطوال .

ولم يكن هذا الشيخ من أسرة كبيرة، ولا من بيت علم ولم يقبل على الدراسة في مطلع شبابه، ولكنه طلب العلم على كبر، فقد كان يبيت من فقره في مدرسة الكلاسة، بين الأموي وقبر صلاح الدين، وكانت تغلق أبوابها ليلاً ويبقى حده فيها، فاضطر في ليلة باردة إلى الاغتسال، ولم يجد إلا بركة المدرسة، فغطس فيها ونام، فعاوده الاضطرار مرة ثانية فغطس، فأغمي عليه من شدة البرد، فشكا ذلك إلى شيخ المدرسة، فأفهمه أنه لو كان عالماً لما أقدم على ضرر نفسه، ولعرف أن التيمم يغني عن الغسل إن كان الغسل يؤدي إلى المرض .

كذلك (يا سادة) لا يصلح التقي إلا بالعلم، ولا يصلح العلم إلا بالتقي، فالمتعبد الجاهل، يضر نفسه وقومه، والعالم الفاسق يتخذ علمه وسيلة إلى الدنيا، وسلماً لبلوغ الغنى والجاه .

وأقبل من ذلك اليوم على طلب العلم بهمة ليس لها مثيل، يسهر ليله كله في العلم، فلم تمر عشر سنين حتى صار أحد أفذاذ العلماء وأعلام الدنيا، وكان فقيراً وكان بين جنبيه نفس ملك، وكان زاهداً في الدنيا يراها أهون من أن يهتم بها ويحرص عليها، فلم يستعبده مال ولا جاه ولا امرأة، فمن هنا جاءت هذه الأخبار العجيبة عن جرأته على الملوك والأمراء، فاسمعوها ولكن لا تحاولوا أن تجربوها، حتى تتخلقوا بالخلائق التي دفعته إليها، وحملته عليها، وحتى تعلموا أنّه لم يعملها تظاهراً، ولا إرضاء للناس، ولا اكتساباً للجاه، بل عملها وهو يراها الشيء الطبيعي كالتنفس والطعام .

ولي خطابة الجامع الأموي مع القضاء، بعد ما شرط شروطاً قبلوها منه، وأخذ عليهم العهود أن يطلقوا يده في الإصلاح، فأصلح وأبطل بدعاً كثيرة، منها صلاة الرغائب، وصلاة نصف شعبان، لأن ما يفعله الناس من إحياء ليلة نصف شعبان، والدعاء فيها بهذا الدعاء المعروف، لا أصل له في الدين، والعلماء متفقون على أنه من المحدثات .

وكان يحضر خطبته الملوك والأمراء، ويجلونه، ويكبرونه، فلما وقع الخلاف بين الملك الصالح اسماعيل في الشام، وابن عمه ملك مصر، استعان الصالح بالإفرنج الصليبيين وحالفهم على ابن عمه. ومن عجائب المصادفات أن هذا الملك الخائن كان يلقب الملك الصالح، وأن فاروق كان يلقب الملك الصالح .

وأعطى الافرنج بلدين من بلدان المسلمين، فغضب الشيخ للّه، وقام في الجمعة التالية على منبر الأموي فخطب في ذم موالاة الأعداء، وتقبيح الخيانة، وانتهت الخطبة وقام للدعاء للملك كما هي العادة، والملك حاضر في المسجد، فما كان منه إلا أن أعلن أن الملك قد خان، وأن الخائن لا ولاية له، وأعلن إسقاطه من الحكم !

لم يراع صداقته، ولم يحرص على عطفه، ولم يلجأ إلى زاوية مظلمة فيتلفت حواليه، ثم يقول بصوت خافت : اللهم إن هذا منكر لا أرضى به، ولا أقدر على إزالته ! بل صدع بالحق على المنبر، فقبض عليه. وضجّ الناس وتكلم العلماء، فأرسل الملك إلى الشيخ من يقول له : إن الملك يعفو عنه بشرط أن يقبل يده .

قال الشيخ للرسول : يا مسكين، واللّه ما أرضى أن يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده !

فحبسه، ثم أرسله إلى الجبهة فسجنه في فسطاط قريب منه، وكان يقرأ القرآن مرّة في محبسه وعند الملك وفود الافرنج فقال لهم : أتسمعون هذا القارىء ؟ إنه أعظم قساوسة المسلمين وقد حبسته لإنكاره تسليمي الحصون لكم وعزلته عن منصبه !

قالوا (واسمعوا ما قالوا) قالوا : واللّه لو كان قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا ماءهما !!

ثم أطلق فسار إلى مصر فأكرمه ملكها، وولاه الخطابة والقضاء، فكان منقطعاً إلى التدريس والإملاء والتأليف، وخلف مؤلفات هي غاية الغايات في جودة البحث، وتحقيق المقصد، ووضوح الأسلوب، وكان وفياً للعلم، لا يبالي في سبيل الحق ورضاء اللّه، ما يقوله الناس، أفتى رجلاً لا يعرفه في مسألة، ثم ظهر له أنه أفتى خطأ، ولم يكن في تلك الأيام جريدة ولا إذاعة، فأخرج منادياً ينادي في شوارع مصر : يا أيها الناس : من أفتاه أمس عز الدين بن عبد السلام في المسألة الفلانية، فليعلم أن الجواب غلط، وليأت ليسمع الجواب الصحيح !

لذلك سمي سلطان العلماء .

وكانت له في مصر وقائع مع الأمراء نسمعها اليوم فنراها من باب الخيال .

كان الحكم للمماليك فنظر الشيخ فرآهم لا يزالون في نظر الشرع عبيداً، لم يتحرروا هم، فضلا عن أن يحكموا الأحرار، فأعلن بوصفه القاضي، أنهم سيباعون بالمزاد العلني وكان نائب السلطنة من المماليك، الذين حكم الشيخ ببيعهم !

وحسبوه يهزل فإذا هو جاد، فشكوه إلى السلطان فنهاه فلم ينته، فقال له السلطان كلمة فيها غلظة، فما كان من الشيخ إلا أن ..

إلا أن ماذا ؟ ماذا ترونه صانعاً، وهو لا يملك قوة ولا مالاً، وقد أثار الحاكمين عليه، وأراد أن يزيد على رقابهم في السوق، ويبيعهم كما تباع الدواب !

ما كان منه إلا أن حمل أمتعته على حمار، وأركب أهله على حمار آخر. وكانت هذه دنياه كلها، دنيا تحمل على حمارين.. وخرج من مصر .

تقولون : ثم ماذا ؟ وماذا يصنع خروجه ؟

لقد صنع العجائب يا سادة، لقد خرج أهل مصر جميعاً، بالضجيج والعويل، يسيرون خلفه، وارتجف البلد، وزلزلت مصر، وأسرعوا إلى السلطان يقولون له : تدارك ملكك لئلا يذهب بذهاب الشيخ !

فلحقه فأرجعه وأجابه إلى طلبه .

وذهب كبير المماليك بالسيف إلى دار الشيخ ليقتله، ولم يكن على بابه حرس ولا حجَّاب، وقرع الباب، فنزل الشيخ وفتح له، فلما رآه الأمير، لم يرى أمامه بشراً، يخوّفه بالسيف، ولكن رأى الشرع الذي لا تعمل فيه السيوف، فسقط السيف من يده .

ونفذت كلمة الشيخ فنودي على أمراء مصر في سوق العبيد !

وخرج الملك الصالح أيوب يوم العيد إلى الصلاة بموكبه ودبدبته وعظمته : العسكر مصطفون بين يديه، ووجوه المملكة يسيرون وراءه، والأعلام تلوح على رأسه، والأمراء يقبلون الأرض أمامه، وإذا بشيخ يخرج من باب مدرسته فيناديه باسمه : يا أيوب ! فالتفت السلطان ودهش، ووقف، ووقف الناس وشدهوا، حتى كأن الطير على رؤوسهم، فقال له الشيخ : ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ قال : هل جرى ذلك ؟ قال : الخمارة الفلانية يباع فيها الخمر، وفيها المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة .

قال الملك : يا سيدي هذه من زمان أبي .

قال : أنت من الذين يقولون إنا وجدنا آباءنا ؟

فأمر السلطان بإبطالها من ساعته .

فلما دخل المدرسة سأله تلميذه (الباجي العظيم) : يا سيدي لم فعلت ذلك ؟ قال : يا بني رأيته في تلك النعمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. قال : يا سيدي أما خفته ؟ قال : تصورت هيبة اللّه فصار السلطان قدامي كالقطّ !

يا أيها السادة، هذا شيخ كان يعيش في دنيا من عقيدته وإيمانه، ترك دنيا الناس وزهد فيها، ولم يجرص على متعها ولذائذها، فانقادت له الدنيا، وذل له جبابرتها، حتى وقف هذه المواقف التي نراها أدنى إلى الخيال .

ومن خاف اللّه يا أيها الناس خافه كل شيء، ومن أخلص له وضع هيبته ومحبته في كل قلب، أما من كان يطلب الدنيا ويريد المال، ويبغي الجاه، ويحرص على ثناء الناس، فهيهات أن يقدر على شيء .

معرفة اللّه

قيل لأبي بكر الصديق رضي اللّه عنه يا أبا بكر بما عرفت ربك ؟ فقال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه، عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي فقيل له، فكيف عرفت ربك ؟ فقال الصديق رضي اللّه عنه، العجز عن الإدراك إدارك والبحث في ذات اللّه إشراك .

جليس الفقراء

كان الرسول عليه الصلاة والسلام جالساً ذات يوم مع فقير من فقراء المسلمين فجاء غني من الأغنياء فلم يجد مكاناً يجلس فيه إلا بجانب الفقير فإذا بالغني قد جلس بجانب الفقير

وجمع أطراف ثوبه فبصر به الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له : لم جمعت أطراف ثوبك أخشيت أن تعدي الفقير من غناك أم خفت أن يعديك هو من فقره ؟

فشعر الغني بألم الضمير وقال يا رسول اللّه إنه جزاء ما سولت لي به نفسي فقد تنازلت عن نصف مالي لهذا الفقير فسأل النبي ﷺ الفقير وقال له أتقبل هذه الهبة يا عبد اللّه ؟

فقال الفقير لا يا رسول اللّه .

فقال له النبي ﷺ ولماذا ؟

فقال الفقير أخشى أن أقبلها فأصبح غنياً فأتكبر على خلق اللّه .

قدوة صالحة

خرج النبي ﷺ مع بضع أصحابه ذات يوم إلى الصحراء وكانت معهم شاة فقال أحدهم أنا علي ذبحها وقال الآخر أنا علي سلخها وقال الثالث وأنا علي طبخها فقال الرسول عليه الصلاة والسلام وأنا علي جمع الحطب فقالوا يا رسول اللّه نود أن نعمل لتستريح أنت يا رسول اللّه ولا تتعب نفسك .

فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : والله لا أجلس وأنتم تعملون، إن اللّه يكره من عبده أن يكون متميزاً على إخوانه، وذهب بنفسه وجمع الحطب .

مكارم الأخلاق

روي أن رجلاً من العرب اسمه ثمامة بن أثال حمل سيفه وخرج من قبيلة اليمامة متوجهاً إلى مدينة رسول اللّه ﷺ وقد حمل السيف بعدما أصبح السيف حاداً ودخل المدينة

obeikandl.com

متوشحاً بسيفه عازماً ومصمماً على قتل رسول اللّه ﷺ فوقعت عينا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه عليه وكان رضي اللّه عنه عبقري الفؤاد ذكي القلب بعيد النظر حاد التفكير فهب إليه وسأله ما الذي جاء بك إلى مدينة رسول اللّه ﷺ وأنت مشرك ؟ قال ثمامة يا عمر جئت لأقتل محمداً، فلببه عمر بثوبه وأخذ سيفه وربطه في سارية من سواري المسجد وذهب إلى سيدنا رسول اللّه ﷺ وعرض عليه القصة في شأن هذا الرجل. وكان الرسول ﷺ يستطيع بكلمة أن يقول لعمر اذهب واضرب عنقه وتنتهي القضية ولكن الرسول ﷺ خرج من منزله ليرى ذلك الذي جاء ليقتله ونظر الرسول ﷺ إلى الرجل وهو مقيد بالقيود ومربوط في سارية من سواري المسجد وسيفه بيد عمر فنظر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى وجه ذلك الذي جاء قاتلاً له وكان عمر ينتظر بين آونة وأخرى أن يصدر الأمر من رسول اللّه بضرب عنقه فيقوم عمر بفصل العنق في أقل من طرفة عين ولكن الرسول ﷺ نظر إلى من حوله من أصحابه وسألهم قائلاً هل أعددتم له طعاماً ولم يستطع عمر أن يرد، لأنه يريد قتله فقال يا رسول اللّه أي طعام تريد وأي طعام يأكل هذا الذي جاء قاتلا ولم يأت مسلماً وإذا بالرسول عليه الصلاة والسلام يقول اذهبوا فأتوه بلبن من بيتي فحلبت الشياه وجيىء باللبن فقال الرسول عليه الصلاة والسلام حلوا وثاقة وعمر كأنه واقف على الجمر من شدة غيظه من المشرك وبعد أن شرب المشرك اللبن قال له الرسول ﷺ قل لا إله إلا اللّه فقال المشرك لا أقولها فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام قل أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه فقال الرجل لا أقولها. فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإطلاق سراحه وأصدر أمره بالإفراج عنه فوراً فخرج الرجل متوجهاً إلى بلده وإذا به بعد أن يخطو خطوات عن المسجد يعود إلى رسول اللّه ﷺ مرة أخرى ويقول له يا رسول اللّه أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه. فقال له الرسول فلماذا لم تنطق بها عندما أمرتك فقال له لم أنطق بها لأنني كنت تحت يديك فخشيت أن يقال أنني أسلمت خوفاً منك أما وقد أطلقت سراحي فقد أسلمت ابتغاء مرضاة اللّه رب العالمين ويقول ذلك الرجل عندما دخلت المدينة لم يكن لدى نفسي أبغض من محمد ففارقتها وليس على وجه الأرض أحد أخب إلى قلبي من رسول اللّه ﷺ .

عظة للحكام

في يوم بيعة المنصور في خلافة العصر العباسي وهي شيءٌ يفرح به إذا أردنا الفرح بالدولة الإسلامية. دخل عليه رجل عالم يقول الحق ذلك هو الفقيه (مقاتل) فنظر إليه المنصور وقال واللّه ما جاء مقاتل إلا ليعكر علينا صفو يومنا فبعد أن جلس مقاتل وسط القوم قال له المنصور يا مقاتل عظني ؟

قال أعظك بما رأيت أم بما سمعت يا أمير المؤمنين ؟ قال عظني بما رأيت .

قال مقاتل مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ولداً وترك ثمانية عشر ديناراً كُفّنَ منها بأربعة واشتري له قبرٌ بخمسةٍ ووزع الباقي على أولاده، وسُئل في أحد الأيام عن أولاده قال أولادي اثنين إما متقٍ يتقي اللّه فيجعل له من أمره مخرجاً، وإما عاصٍ فأنا لا أترك في يده شيئاً يستعين بهِ على معصية اللّه، وفي أحد الأيام أراد أمير المؤمنين أن يوقف ضيعة لأموال المسلمين وقد سمع بهذا أحد أولاده فأراد أن يدخل على أبيه فصده حاجب أمير المؤمنين وقال أما تدعون أمير المؤمنين يرتاح ساعة في النهار (وقت القيلولة) فسمعه عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه آذن له بالدخول فدخل عليه إبنه وقال يا أبي إني سمعت أنك ستوقف الضيعة الفلانية لأموال المسلمين قال نعم إن شاء اللّه في الصباح قال له ابنه أوضمنت يا أبي أنك ستعيش إلى الغد قم الآن وانجز ما خطر ببالك، فانظر كيف انتقل ورع أمير المؤمنين إلى أولاده وفي مرة أخرى جمع أولاده وقال يا أولادي أردت أن أترككم في رغد من العيش ووافر من النعمة ولكني علمت أنكم لا ترضون لأبيكم أن يترككم في خير ويقف هو أمام اللّه ليحاسب عليه، إنتهت قصة عمر بن عبد العزيز الذي أمن على أولاده. لم يؤمن عليهم بمال ولا جاه ولا بيتٍ ولا عقارٍ إنما أمن عليهم بتعمير القلوب بتقوى اللّه تعالى.

أسلوب حكيم في موعظة العاصي

أتى رجل إبراهيم بن أدهم رضي اللّه عنه فقال :

يا أبا اسحق، إني مسرفٌ على نفسي فاعرض علي ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً. فقال : إن قبلت خمس خصالٍ وقدرت عليها لم تضرك المعصية .

قال : هات يا أبا اسحق !

قال : أما الاولى فإذا أردت أن تعصي اللّه تعالى فلا تأكل رزقهُ

قال : فمن أين آكل ؟ وكل ما في الأرض رزقهُ ؟

قال : يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟

قال : لا ، هات الثانية .

قال : وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده .

قال : هذه أعظم فأين أسكن ؟

قال : يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟

قال : لا ، هات الثالثة .

قال : وإذا أردت أن تعصيه وأن تأكل رزقه وفي بلاده فانظر موضعاً لا يراك فيه فاعصه فيه .

قال : يا ابراهيم ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر ؟

قال : يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقة وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به ؟

قال : لا ، هات الرابعة .

قال : فإذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً،

obeikandl.com

وأعمل للّه صالحاً .

قال : لا يقبل مني

قال : يا هذا فأنت إذ لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنهُ إذا جاءك لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص .

قال : لا ، هات الخامسة .

قال : إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم .

قال : إنهم لا يدعوني ولا يقبلون مني .

قال : فكيف ترجو النجاة إذن ؟

قال : يا ابراهيم حسبي، حسبي، أنا أستغفر اللّه وأتوب إليه .

فكان لتوبته وفياً، فلزم العبادة، واجتنب المعاصي حتى فارق الدنيا .

أبطال عقيدة وجهاد

في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أرسلت القوات الإسلامية المسلحة لتضرب طاغوت الروم الذي هدد دولة الاسلام وعندما وصلت القوات الإسلامية ودارت المعارك أسر هرقل حاكم الروم الصحابي الجليل عبد اللّه بن حذافة رضي اللّه عنه مع جماعة من أصحاب المسلمين وأراد أن يجبره على الكفر فأوقفه أمامه في قصر الملك ودار بين الطاغية حاكم الروم وبين الصحابي عبد اللّه بن حذافة حوارٌ فقال هرقل يا عبد اللّه تنصر وأعطيك نصف ملكي فقال عبد اللّه بن حذافة رضي اللّه عنه يا هرقل والله لو عرضت عليّ الدنيا كلها على أن أترك دين محمد ما تركته .

فقال هرقل يا عبد اللّه إن لم تتنصر فسوف أعذبك العذاب الأليم فقال عبد اللّه بن

حذافة افعل ما تشاء فإنما تعذب بدناً فانياً وجسداً مولياً أمّا الروح فلا يملكها إلا اللّه فأمر هرقل أن يصلب على صليب وأن يضرب بالسهم في يديه ورجليه وفي غير مقتل حتى يعذب العذاب الأليم وصلب ورمي بالسهام وكلما أصابه سهم قال لا إله إلا اللّه قال هرقل أنزلوه، فأنزلوه فغلي له ماء في قدرٍ حتى كاد الإناء أن يحترق من شدة الغليان وقال له يا عبد اللّه إما أن تتنصر وإما أن تلقي بنفسك في هذا الماء وإذا بعبد اللّه بن حذافة رضي اللّه عنه يمشي إلى الماء الذي يغلي فلما اقترب منه بكت عيناه فقال له هرقل أبكيت يا عبد اللّه ؟

فقال له واللّه ما بكيت خوفاً فأنا أعلم أنني سائر إلى اللّه ولكني بكيت لأن لي نفساً واحدة وكنت أود أن يكون لي مائة نفس تعذب في سبيل اللّه فقال هرقل إرجعوه فأرجعوه فأحضر له امرأةً غانية من نساء الروم وقال أدخلوه معها في غرفة مغلقة لتراوده عن نفسه ودخلت معه الغانية وغلقت الأبواب وأخذت تغدو وترجع أمامه وبعد ساعات مضت قال هرقل أحضروها لأسمع منها ما حدث فلما حضرت أخبرته وقال له يا سيدي أنا لست أدري إلى من أرسلتني أأرسلتني إلى بشر أم إلى حجر كلما خطوت أمامه ما سمعت منه إلا قول لا إله إلا اللّه .

فقال هرقل أدخلوه في غرفة ولا تحضروا له طعاماً إلا الخمر ولحم الخنزير فأحضروا له ذلك وأغلقوا عليه الباب وليس معه طعام سواهما وظل عبد اللّه بن حذافة رضي اللّه عنه ثلاثة أيام لا يأكل لحم الخنزير ولا يشرب خمراً ثم دخلوا عليه فوجدوه يذكر اللّه ويصلي والخمرة كما هي ولحم الخنزير كما هو فقالوا له يا عبد اللّه ما منعك من الشرب والأكل وأنت مضطر لذلك والجوع يعبث بأمعائك ؟

فقال لهم خفت أن أشمت أعداء اللّه في دين اللّه .

فلما يئس منه هرقل قال له يا عبد اللّه قبّل رأسي وأطلق سراحك .

فقال له بل تطلق سراح إخواني المسلمين فوافق على ذلك ولما ذهب ليضع فمه على رأس هرقل قال لرب العزة اللهم إنك تعلم أنه مشرك نجس ولكني سأبصق على رأسه ولن أقبلها .

فإذا سألتني عن ذلك يوم القيامة سأقول لك وعزتك وجلالك ما فعلت ذلك إلا لأطلق سراح إخواني .

وذهب عبد الله ووضع فمه على رأس هرقل وبصق عليها دون أن يشعره فأصدر هرقل سراحه وسراح إخوانه وبعد ذلك ذهبوا إلى المدينة المنورة والتقوا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقصوا عليه ما جرى فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال حق على كل مسلم أن يقبل رأسك يا عبد الله وأنا أبدأ بنفسي. وقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقبل رأس عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إكراماً لعزته ولدينه .

كرامة الفقهاء

في يوم من الأيام طرق باب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه طارق وكان الإمام جالساً في داره فقال من الطارق فقال الطارق فتى يا إمام فدخل الفتى دار الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقال له يا إمام إن إمي قد أصابها شلل ولم ينفع معها دواء وقد أرسلتني لتدعو الله لها بالشفاء، فقال له الإمام يا فتى ومن الذي أدراك أنني مجاب الدعوة ارجع إلى أمك وسلها لنا الدعاء فبكى الفتى وإذا بأم الإمام تنظر فتجد هذا الفتى يبكي فقالت له يا فتى ما يبكيك فقال لها يا أم الإمام لقد سألت الإمام أن يدعو الله لأمي فلم يدع لها، فقالت له أم الإمام إرجع إلى أمك فقد سمعت الإمام يدعو الله لها، فذهب الفتى إلى بيته وعندما طرق باب البيت قامت أمه ففتحت له الباب .

الملك يزول وملك الله لا يزول

لما احتضر هارون الرشيد رحمه الله تعالى خليفة الدولة العباسية أمر بحفر قبره ثم حُمل

إليه فاطلع فيه فبكى ثم قال يا من لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه .

عزة العلم

لما سافر هارون الرشيد إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وذهب إلى المسجد النبوي الشريف فرأى الإمام مالك رضي الله عنه يُدَّرس العلم فقال للإمام مالك يا مالك ماضر لو جئتنا لتُدَّرس العلم لنا في بيتنا فقال له الإمام مالك يا هارون إن العلم لا يأتي ولكنه يؤتى إليه فقال له صدقت يا إمام دار الهجرة سوف آتي إليك في المسجد فقال له الإمام مالك يا هارون إذا جئتنا متأخراً فلن أسمح لك ان تتخطى رقاب الناس في المسجد فقال له هارون الرشيد سمعاً وطاعة وبينما كان الإمام مالك رضي الله عنه يلقي درساً بعد صلاة العصر دخل هارون الرشيد المسجد ودخل معه رجل ووضع الكرسي لهارون الرشيد فنظر الإمام مالك إلى هارون الرشيد فوجده جالساً على الكرسي في المسجد فغير مجرى الحديث وقال :

قال رسول الله ﷺ من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله ففهم هارون الرشيد المعنى وأمر أن تُرفع الكرسي من تحته وجلس على الأرض كما يجلس الناس. وبعد ذلك دخل على الإمام مالك قبل سفره وأعطاه هدية وقال له يا مالك خذ هذه الهدية وكانت أربعمائة دينار فقال له الإمام مالك اعفني يا أمير المؤمنين أنا لا أستحق الصدقة ولا أقبل الهدية فقال له الرشيد ولماذا لا تقبل الهدية والنبي ﷺ قبل الهدية فقال له مالك أنا لست نبياً ثم قال له خذ مالك وتوكل على الله وبعد ذلك دعا الرشيد الإمام مالك لزيارة بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك فرفض الإمام مالك وقال والله لا أرضى بجوار رسول الله بديلاً .

عبدي المؤمن

أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : «وعزتي وجلالي ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته، فتكيده السموات بمن فيها والأرض بمن فيها، إلاّ جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلاّ قطعت أسباب السماء بين يديه. وما من عبد يطيعني إلاّ وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له قبل أن يدعوني، وغافر له قبل أن يستغفرني» .

كيف تقرأ القرآن الكريم

لقد كان إقبال يقرأ كتاب الله صباحاً ومساءً وكان والده يقول له كل صباح :

– ماذا تقرأ ؟

يقول : أقرأ القرآن !

ويستمر في ذلك مدة من الزمن – ثلاثة أعوام – وعندها سأل إقبال والده :

– أنت تسألني كل يوم نفس السؤال. وأجيبك الإجابة ذاتها. فما الذي تعنيه ؟

– قال أريد أن أعطف قلبك إلى القرآن الكريم ؟ أريد أن أعرفك كيف تتأثر بقراءة القرآن يا بني : إقرأ القرآن وكأنما أنزل عليك .

يقول إقبال : من هذا اليوم بدأت أقرأ القرآن قراءة جديدة بقلبي وبحواسي وبفكري وبكل ما أستطيع من طاقة حتى غدوت خلقاً آخر، أفهم الحياة على غير ما كنت أفهمها فإن القرآن لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

قيل للحسن :

– ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟

– فقال : انهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

دعـــاء

عن الأوزاعي عن حسان أن رسول الله ﷺ قال في سفره حين هاجر :

«الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً مذكوراً، اللهم أعني على أهاويل الدنيا وبوائق الدهار، ومصيبات الليالي والأيام، واكفني شر ما يعمل الظالمون في الأرض، اللهم في سفري فاصحبني، وفي أهلي فاخلفني، وفيما رزقتني فبارك لي، ولك في نفس فدلني وفي أعين الصالحين فعظمني وفي خلقي فقومني، وإليك رب فحببني، إلى من تكلني رب المستضعفين وأنت ربي»

لك منه بقيمة دينارك

وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ملك الروم بريداً، فاشترت امرأة عمر أم كلثوم بنت علي طيباً بدينار وجعلته في قارورتين وأهدته إلى امرأة ملك الروم، فرجع البريد بملء القارورتين من الجواهر، فدخل عليه عمر وقد صبته في حجرها، فقال : من أين لك هذا ؟ فأخبرته فقبض عليه وقال : هذا للمسلمين، فقالت : كيف وهو عوض من هديتي، قال : بيني وبينك أبوك، فقال علي : لك منه بقيمة دينارك والباقي للمسلمين لأن بريد المسلمين حمله .

وصيـــة

قال رجل للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أوصني :

قال : إذا هممت بأمر من طاعة اللّه، فلا تحبسه حتى تمضيه فإنك لا تأمن الأحداث فإذا هممت بغير ذلك فإن استطعت أن تؤخره لحظة فافعل لعل اللّه يحدث لك تركه وطهر ثيابك ونقها من معاصي اللّه .

وعليك بمعالي الأمور وكرائمها واتق رذائلها وسفاسفها فإن اللّه يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها. وأكثر تلاوة القرآن، ولا تمكن الناس من نفسك .

منك يا اسماعيل

وقعت الحرب بين مصر والحبشة في زمن الخديوي اسماعيل وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ضاق صدر الخديوي لذلك فقال لشريف باشا :

ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة تريد أن تدفعها ؟

فقال : يا أفندينا إن اللّه عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرج اللّه عني .

فكلّم الخديوي شيخ الجامع الأزهر الشيخ العروس فجمع له من صلحاء العلماء جمعاً أخذوا يتلون في البخاري أمام القبلة القديمة بالأزهر، ومع ذلك ظلت أنباء الهزائم تتوالى .

فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إليهم غاضباً وقال : إما أن هذا الذي تقرءونه ليس صحيح البخاري أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح فإن اللّه لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئاً .

فوجم العلماء لذلك، ثم ابتدره شيخ من آخر الصف يقول :

منك يا اسماعيل.. فإنا روينا عن النبي ﷺ أنه قال : «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن اللّه عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» .

فزاد وجوم المشايخ وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم ينطق بكلمة. وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه إلى أن عاد شريف باشا يسأل عن الشيخ فأخذه إلى الخديوي الذي أجلسه إلى جواره وقال له :

أعد يا أستاذ ما قلته ؟

فأعاد الشيخ كلامه وردد الحديث وشرحه .

فقال له الخديوي : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء ؟

قال له : أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا ؟

أليس الزنا برخصة ؟ أليس الخمر مباحاً ؟، أليس.. أليس.. وعدد له المنكرات التي تجري بلا إنكار .

وقال : فكيف تنتظر بعد ذلك النصر من السماء ؟

فقال الخديوي : وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدنيتهم ؟

فقال الشيخ : إذا ما ذنب البخاري وما حيلة العلماء ؟

ففكر الخديوي ملياً وأطرق طويلاً ثم قال له :

صدقت. صدقت .

وعاد العالم لزملائه مرفوع الرأس بعد أن كان ميئوساً من رجوعه .

كل أحد أفقه منك يا عمر

لماذا رجع عمر رضي اللّه عنه من الشام إلى المدينة انفرد إلى الناس يتعرف أخبار رعيته فمر على عجوز في خبائها فقصدها، فقالت يا هذا، ما فعل عمر ؟ قال قد أقبل سالماً، فقالت لا جزاه اللّه عني خيراً، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنه والله ما نالني من عطائه منذ ولي أمير

المؤمنين دينار ولا درهم فقال وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع ؟ فقالت : سبحان الله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها، فبكى عمر وقال : وا عمراه ! كل أحد أفقه منك يا عمر ! ثم قال لها : يا أمة الله، بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار، فقالت : لا تهزأ بنا يرحمك الله. فقال : لست بهزأ، فلم يزل بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود، فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : وا سوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه ؟ فقال لها عمر رضي الله عنه : لا بأس عليك، رحمك الله، ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعي عند وفاته ووقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى، فعمر منه بريء، شهد على ذلك عليٌّ وابن مسعود رضي الله عنهما، ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال : إذا متُّ فاجعله في كفني ألقى به ربي .

❁ ❁ ❁

من كلام
علي بن أبي طالب
(رضي الله عنه)

– لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل .

– يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع وإن مُنح لم يقنع .

– يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، يَنهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي .

– يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم .

– يكره الموت لكثرة ذنوبه . إن سقم ظل نادماً وإن صحّ أمن لاهياً .

– يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي. تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن. ولا يثق من الرزق بما ضمن له، ولا يعمل من العمل بما فرضته عليه .

– إذا استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط وحزن فهو من الذنب والنعم مثقل .

– ينبغي الزيادة ولا يشكر. ويبالغ إذا سأل، ويقصر إذا عمل. يخشى الموت ولا يبادر الغوث .

– يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثر من نفسه. ويستكثر من طاعته ما يستقله من غيره. فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن .

– اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء. يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره وهو يُطاع ويعصي، ويستوفي ولا يوفي .

❁ ❁ ❁

أصول الخطايا

أصول الخطايا كلها ثلاث :

الكبر : وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره .

والحرص : وهو الذي أخرج آدم من الجنة .

والحسد : وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على قتل أخيه .

فمن وقي شر الثلاثة فقد وقي الشر كله

فالكفر من الكبر والمعاصي من الحرص والبغي والظلم من الحسد .

❁ ❁ ❁

معن بن زائدة

سمع أعرابي الشيء الكثير عن كرم وحلم معن بن زائدة أمير العراق فقدم إليه ولما وقف أمام معن قال :

أتذكر إذ لحافك جلد شاه
وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن : أذكر ذلك ولا أنساه.

ثم قال الأعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكا
وعلّمك الجلوس على السرير

فقال معن : سبحان اللّه .

فقال الأعرابي :

فلست مسلّما إن عشت دهراً
على معنٍ بتسليم الأمير

فقال معن : يا أخا العرب، السلام سنّة، وشأنك في الأمير .

فقال الأعرابي :

سأرحل عن بلاد أنت فيها
ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن : يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحبًا بك. وإن رحلت فمصحوباً بالسلامة .

فقال الأعرابي :

فجد لي يا ابن ناقصة بشيء
فإني قد عزمت على المسير

obeikandl.com

فقال معن : أعطوه ألف دينار .

فأخذها الأعرابي وقال :

قليل ما أتيت به وإني
لأطمع منك بالمال الكثير

قال معن : أعطوه ألفا آخر.

فأخذها الأعربي وقال :

سألت الله أن يبقيك ذخراً
فما لك في البرية من نظير

قال معن : أعطوه ألفا آخر .

قال الأعرابي : يا أمير ما جئت إلاّ مختبراً حلمك لما بلغني عنك فقد جمع فيك من الحلم ما لو قُسِّم على أهل الأرض لكفاهم .

فقال معن : يا غلام، كم أعطيته على نظمه ؟

قال : ثلاثة آلاف دينار .

قال معن : إعطه على نثره مثلها .

أفضل الأعمال

سئل رسول الله ﷺ :

– أي الناس أحب إليك ؟

– فقال : أنفع الناس للناس .

obeikandl.com

وسئل أي الأعمال أفضل ؟

– فقال : إدخال السرور على المؤمن ؟

وسئل : وما هو سرور المؤمن ؟

– فقال : إشباع جوعته، وتنفيس كربته وقضاء دينه .

ثلاثـــة

قال ميمون بن مهران :

– ثلاث حق المؤمن والكافر فيهن سواء .

الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر .

والوالدان تبرهما مسلمين أو كافرين .

والعهد تفي به لمن عاهدت مسلماً أو كافراً .

– لا تصطنعوا إلى ثلاث معروفاً :

اللئيم فإنه بمنزلة الأرض النجسة .

والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو مخافة فحشه .

والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه .

جئتم بسيئاتي فقط

جيىء بأعرابي إلى السلطان ورفع كتاباً قد كتبت فيه قصته فأخذ الأعرابي يردد. «هاؤم

obeikandl.com

اقرؤوا كتابيه» .

فقيل له : يقال هذا يوم القيامة .

قال : واللّه هذا شر من يوم القيامة. إن يوم القيامة يؤتى فيه بحسناتي وسيئاتي وأنتم جئتم بسيئاتي فقط .

الأوائل

أول ما خلق اللّه ..... القلم

أول مسجد وضع ..... المسجد الحرام

أول ولد آدم ..... قابيل

أول من خط وخاط ..... ادريس

أول من ختن وطاف ..... ابراهيم

أول من تكلم العربية ..... اسماعيل

أول من بنى مسجداً في الإسلام ..... عمار

أول من سل سيفاً في الإسلام ..... الزبير

أول شهيدة في الإسلام ..... سمية أم عمار بن ياسر

أول من هاجر إلى المدينة ..... مصعب بن عمير

أول من بايع ليلة العقبة ..... أسد بن زرارة

أول من جمع القرآن ..... أبو بكر

أول من أسلم من الرجال ..... أبو بكر

obeikandi.com

أول من أسلم من النساء ..... خديجة

أول من أسلم من الصبيان ..... علي

أول من أسلم من الموالي ..... زيد

أول من أسلم من الأنصار ..... جابر بن عبد اللّه بن رباب

يقول أبو حنيفة رضي اللّه عنه :

كن مع السلطان كما أنت من النار. تنتفع منها وتتباعد عنها، ولا تدن منها فإنك تحترق.

كان أبو حنيفة يعلم قول رسول اللّه ﷺ :

القضاة ثلاثة :

قاض في الجنة وقاضيان في النار .

قاض عمل بالحق في قضائه فهو في الجنة .

وقاض علم الحق فجار متعمداً فذلك في النار .

وقاض فضى بغير علم واستحيا أن يقول لا أعلم فهذا في النار .

طلّق خَمْس نسوة !

قال الأصمعي : قلت للرشيد يوماً : بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلَّق خمس نِسوةٍ، قال الرشيد : إنما يجوز مُلْكُ رجلٍ على أربع نسوة فكيف طلَّق خمساً، قلت : كان لرجلٍ أربع نسوة، فدخل عليهن يوماً فوجدهن مُتلاحيات متنازعات – وكان الرجل سيء الخُلُق – فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما إخالُ هذا الأمر إلاّ من قِبَلكِ – يقول ذلك لامرأة منهن اذهبي فأنت طالق ! فقالت له صاحبتها : عجّلت عليها بالطلاق، ولو أدّبتها

بغير ذلك لكنت حقيقاً، فقال لها : وأنتِ أيضاً طالق ! فقالت له الثالثة : قبّحك اللّه ! فو اللّه لقد كانتا إليكَ مُحْسنتين، وعليكَ مَفْضِلَتَيْنِ ! فقال وأنتِ أيتها المَعَدَّدَةُ أياديهما طالقٌ أيضاً، فقاله له الرابعة – وكانت هِلالية فيها أناةٌ شديدةٌ – ضاق صدرُك عن أن تؤدّبَ نساءَك إلاّ بالطلاق ! فقال لها : وأنتِ طالقٌ أيضاً ! وكان ذلك بسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سَمعتْ كلامه، فقالت : واللّه ما شهدت العربُ وعلى قومك بالضعف إلاّ لما بَلوْهُ منكم ووجدوه منكم، أَبَيْتَ إلاّ طلاقَ نسائِكَ في ساعة واحدةٍ ! قال : وأنتِ أيّتها المُؤَنِّبَةُ المُكَلَّفَةُ طالق، إن أجاز زوجك ! فأجابه من داخل بيته : قد أجزتُ ! قد أجزتُ

ثلاثــة

– رؤوس النعم ثلاثة :

أولها : نعمة الإسلام التي لا تتم النعم إلا بها

ثانيها : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها .

ثالثها : نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها .

العبد ينسى

قيل للإمام الشافعي رضي اللّه عنه :

ما الدليل على وحدانية اللّه :

فقال : ورقة التوت. تأكلها الدود فتخرجها حريراً، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكاً، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً، وتأكلها الشاه فتخرجها لبناً، ويأكلها الحمار فيخرجها

بعراً، فمن الذي نوع الأشياء والأصل واحد ..

الشمسُ والبدرُ من أنوار حكمتهِ
والبرُّ والبحرُ فيضٌ من عطاياهُ
الوحشُ مجدّهُ والطيرُ سبَّحهُ
والموجُ كبّرهُ والحوتُ ناجاهُ
والنملُ تحتَ الصخورِ الصُّمِ قدّسهُ
والنحلُ يهتفُ حمداً في خَلاياهُ
والناسُ يعصونهُ جهراً فيسترهمْ
والعبدُ ينسى وربى ليسَ ينساهُ

دعـــاء

من أدعية الإمام الرفاعي التي كان يقولها بعد كل صلاة :

اللهم إني أسألك من النعمة تمامها، ومن العصمة دوامها، ومن الرحمة شمولها، ومن العافية حصولها، ومن العيش أرغده، ومن العمر أسعده، ومن الإحسان أتمه، ومن الإنعام أعمه، ومن الفضل أعذبه، ومن اللطف أنفعه ؛

اللهم كن لنا ولا تكن علينا، اللهم اختم بالسعادة آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا، واجعل إلى رحمتك مصيرنا ومآلنا، واصبب سجال عفوك على ذنوبنا، ومُنَّ علينا بإصلاح عيوبنا، واجعل التقوى زادنا، وفي دينك اجتهادنا، وإليك توكلنا واعتمادنا وإلى رضوانك معادنا .

اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة، وعُذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة ؛

اللهم خفّف عنا ثقل الأوزار، وارزقنا عيشة الأبرار، واكفنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب أبنائنا وأمهاتنا وإخواننا من النار، يا عزيز يا غفار، يا كريم يا ستار، يا حليم يا جبار، يالله يا الله .

المتكلمة بالقرآن

قال عبد الله بن المبارك :

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق. إذ بسواد فتميزت ذلك السواد فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف .

فقلت : السلام عليكم ورحمة الله . فقالت : ﴿**سلام قولاً من رب رحيم**﴾. فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان ؟. قالت : ﴿**ومن يضلل الله فلا هادي له**﴾. فعلمت أنها ضالة عن الطريق. فقلت : أين تريدين ؟ . قالت : ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾. فعلمت أنها قد قضت حجها وتريد بيت المقدس فقلت : منذ كم هذا الموضع ؟ قالت : ﴿**ثلاث ليال سوياً**﴾. قلت : ما أرى معك طعاماً تأكلين ؟. قالت : ﴿**هو الذي يطعمني ويسقين**﴾. قلت : فبأي شيء تتوضئين ؟. قالت : ﴿**فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً**﴾. قلت : إنّ معي طعاماً فهل لك في الأكل ؟. قالت : ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾. قلت : ليس هذا شهر رمضان ؟. قالت : ﴿**فمن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم**﴾. قلت : قد أبيح لنا الإفطار في السفر ؟. قالت : ﴿**وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾. قلت : لِمَ لا تتكلمي بمثل ما أكلمك ؟. قالت : ﴿**ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد؟**﴾. قلت : من أي الناس أنت ؟ . قالت : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم، إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾. قلت : قد أخطأت فاجعليني في حل . . قالت : ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**﴾. قلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة ؟ قالت : ﴿**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**﴾. فأنخت ناقتي فقالت : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ فغضضت بصري عنها وقلت اركبي. فلما أرادت أن تركب فرت الناقة فمزقت ثيابها. فقالت : ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾. قلت : اصبري حتى أعقلها. قالت : ﴿**ففهمناها سليمان**﴾ فعقلت الناقة وقلت لها اركبي. فلما ركبت قالت : ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا**

له مقرنين﴾. قال : فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح . فقالت : **﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾**. فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر . فقالت : **﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾**. فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً . قالت : **﴿وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب﴾**. فلما مشيت بها قليلاً قلت : ألا زوج ؟ قالت : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾**. فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة. فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت : **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾**. فعلمت أن لها أولاداً فقلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾**. فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات. فقلت : هذه القباب فمن لك فيها ؟. فقالت : **﴿واتخذ اللّه ابراهيم خليلا. وكلم اللّه موسى تكليما. يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾** . فناديت : يا ابراهيم، يا موسى، يا يحيى .. فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا. فلما استقر بهم الجلوس. قالت : **﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾** فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي. فقالت : **﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾**. قلت : الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا : هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلاّ بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن . قلت : **﴿ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم﴾** .

صفاء القلوب

قال ابن القيم :

من أراد صفاء قلبه فليؤثر اللّه على شهواته. فالقلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن اللّه بقدر تعلقها بالشهوات .

والقلوب آنية اللّه في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها. وإذا شُغل القلب باللّه

والدار الآخرة وغُذي بالتذكر وسُقي بالتفكر ونُقي من الفساد رأى العجائب وألهم الحكمة. أهل المعرفة والحكمة الذين أحيوا قلوبهم بقتل الهوى وأما من قتل قلبه وأحيا الهوى فالمعرفة عارية على لسانه .

الوقت

محمد زكي عبد القادر

الوقت هو الكنز المحفوظ لنا لكي نستهلكه، وهو الرصيد الذي لا بد من إنفاقه سواء أردنا أم لم نرد. وهو بالنسبة لحياة الفرد ومدته يسمى العمر، وبالنسبة لسير التاريخ يسمى الزمن، وهو متفاعلاً مع الكون لا يعرف له أول ولا آخر وهو الأزل والأبد .

مرّت بهذه الخواطر في نفسي وأنا أراقب الساعة المعلقة على الحائط وساءلت نفسي ما هو مرور الزمن ؟ وما هذه الظاهرة العجيبة التي لا نكاد نحسها في أنفسنا ؟ أو فيما حولنا لولا أنا نشعر بأثرها في الصغير الذي يكبر وفي العود الذي يجف وفي الوردة الناضرة التي تضمر، في الملايين من الخلائق التي تعيش وتموت وتتجدد، في هذه الآثار الباقية التي تروي تاريخاً، في هذه الكتب التي لا حصر لها تحكي قصص شعوب وأفراد عاديين وعباقرة. الوقت عنصر أساس في الحياة، وهو مع التراب والماء يصنع كل القوى، وهو مع الانسان يصنع الأفكار خيره وشريره .

إضاعة الوقت

للعقاد

في كل وقت وكل موسم وكل مكان ألوف من الشبان الأقوياء والرجال الناضجين

يقضون ساعات الفراغ في لعب النرد والورق أو في تعاطي الراح والدخان أو في مراقبة الغادين والغاديات والرائحين والرائحات .

ليس هذا وقتاً فارغاً لأنهم مشغولين فيه، وليس هذا وقتاً مملوءاً لأنهم يملئونه بما هو أفرغ من الفراغ .

حديث الأبرص والأقرع والأعمى

روى أبو هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول :

«إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، بدا للّه عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال : فمسحه، فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً، فقال : أي المال أحب إليك، قال : الإبل.. فأعطي ناقة عُشراء.. فقال : يبارك لك فيه .

وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن، ويذهب هذا عني، قد قذرني الناس. قال : فمسحه فذهب، وأعطي شعراً حسناً، قال : فأي المال أحب إليك : قال البقر : فأعطاه بقرة حاملاً، وقال يبارك اللّه فيها .

وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يرد اللّه لي بصري، فأبصر به الناس، قال : فمسحه فردّ اللّه إليه بصره، قال : فأي المال أحب إليك، قال : الغنم، فأعطاه شاة والدا.

فأُنتج هذان، ووُلد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلاّ باللّه ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً

أتبلغ في سفري، فقال : إن الحقوق كثيرة. فقال له : كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله.. ؟ فقال : لقد ورثت كابراً عن كابر. قال : إن كنت كاذباً فصيرك اللّه إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه هذا فقال : إن كنت كاذباً فصيرك اللّه إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته، فقال : رجل مسكين وابن السبيل، وتقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلا باللّه ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري، وقال له : كنت أعمى، فردّ اللّه بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت، فواللّه لا أجهدك اليوم بشيء أخذته للّه .

فقال : أمسك مالك فقد ابتليتم، فقد رضي اللّه عنك، وسخط على صاحبيك» .

قدوة حسنة

خرج الرسول عليه الصلاة والسلام ذات يوم وقت الظهيرة لأنه لم يجد في بيته طعاماً ورآه أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه وسأله الرسول عليه الصلاة والسلام ما أخرجك الساعة يا أبا بكر ؟

فقال له أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه شدة الجوع يا رسول اللّه. ومشيا فوجدا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فسأله الرسول عليه الصلاة والسلام ما أخرجك الساعة يا عمر ؟

قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه شدة الجوع يا رسول اللّه. وإذا بأبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما يسألان الرسول عليه الصلاة والسلام فقالا له ما الذي أخرجك أنت الآن يا رسول اللّه ؟ فقال لهما الرسول عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده إن الذي أخرجكما هو الذي أخرجني وذهب الثلاثة إلى دار أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه وتناولوا عنده

طعاماً وماءً وبعد أن شرب أبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما من الماء وبعد أن شرب الرسول عليه الصلاة والسلام من الماء ووضع الإناء عن فمه الشريف قال على شربه الماء «لتسئلن يومئذ عن النعيم» !

مع رائد العدالة الاجتماعية

جاءت السيدة عائشة رضي اللّه عنها إلى رسول اللّه ﷺ ذات يوم. وقالت له يا رسول اللّه، أحب أن تعلن أمام زوجاتك أنني أكثرهنّ حباً إلى قلبك فأعطاها النبي ﷺ درهماً ومر على نسائه فأعطى كل واحدة منهن درهماً وقال لعائشة رضي اللّه عنها اجمعيهن يا عائشة فجمعت عائشة أمهات المؤمنين ثم سألت رسول اللّه ﷺ وقالت له من أحب نسائك إليك وتوقعت أن يقول لها أنت ولكنه قال من أعطيتها درهماً فرفعت يدها بالدرهم فرفعت جميع أمهات المؤمنين أيديهن بالدراهم .

هكذا عاملناكم يا أهل الكتاب

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يمشي ذات يوم في أحد شوارع المدينة فوجد رجلاً يطرق باباً ويمد يدهُ للسؤال فسأله عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وكان هذا الحادث شديد التأثير على نفس عمر رضي الله عنه فقال له عمر رضي اللّه عنه لماذا تسأل غير اللّه يا هذا فقال له الرجل يا أمير المؤمنين أنا رجل يهودي شاب شعري وكبرت سني وليس معي مالاً فأخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده وكان الرجل أعمى وذهب به إلى بيته وقال عمر لزوجته أم كلثوم رضي اللّه عنها أحضري ما عندك من الطعام فإن معي ضيفاً فأحضرت له الطعام فأكلا وبعدما أكلا ذهب به إلى بيت مال المسلمين وقال عمر رضي اللّه عنه لمأمور بيت المال انظر هذا وأمثالهُ فاجعل لهم نصيباً من بيت مال المسلمين فلا

خير فينا إذا تركناهم بعدما شابت رؤوسهم وانحنت ظهورهم .

زهد الفاروق

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

خرج عمر بن الخطاب يوماً إلى بستانٍ نخيل له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر:

إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة أُشهدكم أنَ بستاني على المساكينِ صدقةٌ ليكونَ كفارةً لما صنع عمر رضي الله عنه .

الفطرة السليمة

قال الأصمعي قرأت هذه الآية ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم**﴾ .

وكان إلى جنبي أعرابي فقلت سهواً : «والله غفور رحيم» ..؛.

فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟

قلت : كلام الله. قال : أعد .

فأعدت : والله غفور رحيم .

فقال : ليس هذا كلام الله. فتنبهت فقلت : ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ .

فقال : أصبت هذا كلام الله .

فقلت : أتقرأ القرآن ؟

قال : لا

فقلت : فمن أين علمت أني أخطأت ؟

قال يا هذا : عَزَّ فَحكَمْ فَقَطَعْ ، ولو غَفَرَ وَرَحِمْ لما قطع !!

قلب الإنسان

– قلب الإنسان كمثري الشكل في حجم قبضة اليد. يزن ما بين ٢٢٥ جرام إلى ٣٤٠ جرام .

– ينبض بمعدل ٧٠ مرة في الدقيقة أي ٤٢٠٠ مرة في الساعة أي ١٠٠٨٠٠ مرة في اليوم أي ٦٣,٧٩٢,٠٠٠ مرة في السنة .

– فإذا كان عمر الإنسان ٦٠ سنة فإن هذا يعني أن هذا القلب العجيب يكون قد نبض ٢٠,٢٠٧,٠٠٠,٠٠٠ مرة دون توقف .

– يضخ قلب الإنسان ٢٢,٠٠٠ جالون من الدم يومياً أي ٨,٠٣٠,٠٠٠ جالون في السنة أي ٤٨١,٨٠٠,٠٠٠ جالون خلال متوسط العمر ٦٠سنة وهو ما يزن ٣٤٥,٠٠٠طن .

ترى هل تستطيع أي مضخة أخرى أن تقوم بمثل هذا العمل الشاق لمثل هذه الفترة الطويلة دون توقف أو حاجة إلى إصلاح أو صيانة سبحان الخلاق العظيم .

أكتبني في العميان

كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله ليقسم مالاً بين القواعد والعميان والأيتام .

فدخل عليه أبو زياد التميمي وكان مغفلاً .

فقال : أصلحك اللّه اكتبني في القواعد .

فقال : عافاك اللّه، القواعد هن النساء اللاتي قعدن من أزواجهن .

فقال : اكتبني في العميان .

فقال : اكتبوه، فإن اللّه تعالى يقول : ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ .

فقال التميمي : واكتب ابني في الأيتام .

قال : نعم، من كنت أباه فهو يتيم .

عاتبت كريماً فأغناني

رأى محمد بن علي أعرابياً يطوف بالكعبة وعليه ثياب رثة وهو شاخص نحوها لا يصنع شيئاً ثم دنا من الأستار وتعلق بها ورفع رأسه وقال :

أما تستحي وقد قمت شاخصاً
أناجيك يا ربي وأنت عليم
فإن تكسني يا رب حقاً ومروءة
أصلي صلاتي دائماً وأصوم
وإن تكن الأخرى على حالي ما أدري
فمن ذا على ترك الصلاة يلوم
أترزق أولاد العلوج وقد طغوا
وتترك شيخاً من سراة تميم

obeikandl.com

فدعاه محمد إليه وأعطاه فروة وعمامة وعشرة آلاف درهم وحمله على فرس .

فلما كان العام الثاني جاء الرجل إلى الحج وعليه كسوة جميلة وحال حسنة. فقال له : رأيتك في العام الماضي بأسوأ حال وأراك اليوم ذا بزة حسنة وجمال .

فقال : إني عاتبت كريماً فأغناني .

مُثل عليا

جرى بين الإمام الحسن بن علي، وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي اللّه عنهم جميعاً كلام، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها «بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين بن على بن أبي طالب أما بعد، فإن لك شرفاً لا أبلغه وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إلي فترضني، واياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام» .

فلما قرأ الحسين رضي اللّه عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه .

مشهد مبارك من أمام باب الرسول عليه الصلاة والسلام .

ذهب أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنهما ذات يوم لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام في بيته وعندما وصلا إلى الباب قال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه تقدم يا علي .

فقال علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك الرسول ﷺ ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر .

obeikandl.com

فقال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك الرسول ﷺ زوجت خير النساء لخير الرجال زوجت فاطمة لعلي .

فقال علي رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك الرسول ﷺ لو وزن إيمان الأمة بايمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر .

فقال أبو بكر رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك الرسول ﷺ يحشر علي بن أبي طالب مع فاطمة والحسن والحسين راكبين يوم القيامة فيشير الناس إلى علي في الموقف ويقولون من هذا النبي فيقال لهم ما هو بنبي وإنما هو علي بن أبي طالب .

فقال علي رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك الرسول ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا .

فقال أبو بكر رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك الرسول ﷺ أني مع علي يوم القيامة فيقول اللّه لي يا حبيبي لقد اخترت لك ابراهيم خير والدٍ واخترت لك علياً خير أخ وصديق .

فقال علي رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك مولانا عز وجل **﴿والذي جا بالصدق وصدَّق به أولئك هم المتقون﴾** .

فقال أبو بكر رضي اللّه عنه وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك مولانا عز وجل **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة اللّه واللّه رؤوف بالعباد﴾** .

وبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث إذا بالأمين جبريل عليه السلام يهبط على الأمين محمد ﷺ ويقول له يا رسول الله إن أبا بكر وعلياً واقفان بباك فقم إليهما .

فقام الرسول عليه الصلاة والسلام إليهما وجعل أبا بكر رضي اللّه عنه عن يمينه وعلياً رضي اللّه عنه من الجهة الأخرى ودخل بهما إلى بيتهِ وقال لهما هكذا نحشر يوم القيامة .

سؤال القبر

يوم نام ابراهيم ابن الرسول علي الصلاة والسلام في حضن أمه مارية وكان عمره ستة عشر شهراً والموت يرفرف بأجنحته عليه والرسول عليه الصلاة والسلام ينظر إليه ويقول له يا إبراهيم أنا لا أملك لك من اللّه شيئاً ومات ابراهيم وهو آخر أولاده فحمله الأب الرحيم ووضعهُ تحت أطباق التراب وقال له يا ابراهيم إذا جاءتك الملائكة فقل لهم اللّه ربي ورسول اللّه أبي والإسلام ديني. فنظر الرسول عليه الصلاة والسلام خلفهُ فسمع عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ينهنه بقلبٍ صديع فقال له ما يبكيك يا عمر ؟ فقال عمر رضي اللّه عنه يا رسول اللّه إبنك لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه القلم وليس في حاجة إلى تلقين فماذا يفعل ابن الخطاب، وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم ولا يجد ملقناً مثلك يا رسول اللّه وإذا بالاجابة تنزل من رب العالمين جل جلاله بقوله تعالى رداً على سؤال عمر ﴿**يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويُضلُّ اللّه الظالمين ويفعل اللّه ما يشاء**﴾ .

✿ ✿ ✿

أم المؤمنين

بكت عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها ذات يوم فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك ؟ فقالت ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً .

عند تطاير الكتب حتى يعلم كل إنسان أيؤتى كتابه بيمينه أم بشماله، وعند وضع الميزان حتى يعلم أيخف أم يثقل وعند الصراط حتى يعلم أيجوز أم يسقط .

✿ ✿ ✿

الحسنةُ بعشر

في يوم من الأيام جاء إلى عثمان رضي اللّه عنه الف بعيرٍ محملة بالتمرِ والزيت والزبيب فجاءهُ تجار الجملة وقالوا له نزيدك الدرهم درهمين يا عثمان ؟

فقال عثمان بن عفان رضي اللّه عنه لهم لقد بعتها بأكثر من هذا .

فقالوا نزيدك الدرهم بخمسة ؟

فقال لهم عثمان رضي اللّه عنه لقد زادني غيركم الدرهم بعشرة :

فقالوا له فمن الذي زادك ؟ وليس في المدينة تجار غيرنا ؟

فقال لهم عثمان رضي اللّه عنه لقد بعتها للّه ولرسوله .

الفتاة المسلمة

إن فتاةً يهودية على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أسلمت وآمنت وحسن اسلامها ثم ماتت على الإسلام. فجاء أبواها اليهوديان إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقالا له يا محمد نريد أن نعرف ما إذا كانت بنتنا في الجنة أم في النار ؟

فسأل الرسول عليه الصلاة والسلام اللّه تبارك وتعالى أن يلهمه الاجابة، فذهب بوالديها إلى قبرها ووقف على قبرها ونادى عليها يا فلانة بنت فلان فسمع النبي ﷺ صوتاً من داخل القبر يقول له لبيك يا رسول اللّه فسألها وقال لها يا فتاة أجيبي أباك ؟ فقالت الفتاة يا رسول اللّه لا اجيبه وهو يهودي فقال لها ولم ؟

فقالت له يا رسول اللّه لأنني وجدت ربي خيراً من أبي فقال أبواها يا محمد نشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه بعثك اللّه بالحق بشيراً ونذيراً ثم أسلما .

obeikandl.com

❁ ❁ ❁

دعني من سجعك

اشتكت امرأة أبو الأسود زوجها للقاضي، وطلبت ضم ولدها منه إليها .

فسأله القاضي عن دفاعه .

فقال أبو الأسود : أيا القاضي

حَملْته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه؛

فإن كان لها بعض الحق فيه فلي الحق كله أو جلّه .

فقال القاضي : أجيبي أيتها المرأة على دفاع زوجك .

فقالت : لئن حمله خفاً فقد حملته ثقلاً؛

ولئن وضعه شهوة فقد وضعته كرهاً .

فنظر القاضي إلى أبي الأسود وقال له :

ادفع إلى المرأة غلامها ودعني من سجعك .

❁ ❁ ❁

مائة جلدة

أراد رجل أن يقابل أحد الملوك ليطلب منه إعانة .

وعندما ذهب إلى القصر قال له الحارس الأول :

– إنه إذا حصل على شيء فيجب أن يعطيه نصفه حتى يسمح له بالدخول .

وعندما قابل الرجل الحارس الثاني. طلب منه ما قد يعطيه له الملك .

obeikandi.com

ولما وصل الرجل إلى الملك حيّاه وقال له :

مولاي : لي عندك طلب واحد، هو أن تقدم لي هدية مائة جلدة على ظهري .

ودهش الملك لكنه عندما عرف الحديث الذي دار بين الرجل والحارس ضحك وجمع الحارسيين ووزع عليهما هدية الرجل مناصفة كما طلبا .

ورع الأمراء

وجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في يد ابنه الأصغر ذات يوم قطعة من البرنز لا تساوي شيئاً .

فسأله وقال له من أعطاك هذه القطعة من البرنز يا غلام ؟

فقال له الغلام : أعطانيها عامل بيت المال يا أبتاه، فذهب أمير المؤمنين مع ابنه إلى عامل بيت المال وقال له من الذي أمرك أن تعطي ابن عمر هذه القطعة ؟

فقال يا أمير المومنين لقد قمت بجرد الخزانة فوجدتها ذهباً وفضة ولم أجد قطعة من البرنز إلا هذه فأعطيتها لابنك، فاحمر وجه عمر رضي اللّه عنه غيظاً وغضباً وقال له ثكلتك أمك هل فتشت في بيوت المسلمين فلم تجد بيتاً يأكل الحرام إلا بيت عمر خذ القطعة وضعها في مكانها .

إلى بيت مال المسلمين

تفقد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يوماً إبل الصدقة فوجد بينها إبلاً سمينة، فقال لمن هذه الإبل الجيدة قيل لابنك عبد اللّه، فاستدعاه وقال له بكم اشتريت هذه الابل ؟ قال

بكذا. قال عمر.. لك ما اشتريت به أما الإبل فهي لبيت المال قال عبد الله وكيف ذلك ؟

فقال عمر إنهم يقولون هذه إبل ابن أمير المؤمنين فارعوها، هذه ابل ابن أمير المؤمنين فاسقوها، هذه إبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها، لك ما اشتريت به ثم هي لبيت مال المسلمين .

عفة المؤمن

كان أحد الفقراء المسلمين يحافظ على الصلاة خلف النبي ﷺ وكان لا يملك ثوباً سوى الثوب الذي يرتديه إلى أن بلي وأصبح لا يصلح للارتداء مع ذلك كان يحافظ على ألا تفوته تكبيرة الإحرام وراء الرسول عليه الصلاة والسلام وذات يوم بعدما انتهى من الصلاة سأله النبي ﷺ عن حاله فقال له الحمد لله يا رسول الله فأرسل النبي ﷺ من يجلب أحد قميصيه وألبسه لذلك الرجلُ فرجع الرجل إلى داره فرأت زوجته القميص وعرفت أنه قميص النبي ﷺ فقالت لزوجها ماذا قلت لرسول الله هل شكوت الله إلى رسوله ؟ أياك أن تكون قد شكوت الله تعالى إلى رسوله، فقال لها والله ما شكوت فقالت له إذن فما الذي ألبسك هذا القميص ؟

فقال لها والله ما قبلته من الرسول عليه الصلاة والسلام إلا لأكفن فيه بعد موتي .

إمام الفقه والجهاد

لقد عذب الامام أبو حنيفة رضي الله عنه العذاب الأليم في سبيل ألا يتولى القضاء أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور فلقد قال له أبو جعفر المنصور تولَّ القضاء يا أبا حنيفة .

فقال له أبو حنيفة رضي الله عنه : لست لها .

فقال له المنصور ليس عندنا من هو أعلم منك .

فقال له أبو حنيفة رضي اللّه عنه بل هناك من هو أعلم مني .

فقال له المنصور أنت كذاب .

فقال له أبو حنيفة رضي اللّه عنه إذا كنت كذاباً فكيف ترضى أن يتولي القضاء كذاب .

عفة وفقر

جاء رجل إلي النبي ﷺ ذات يوم وأعطاه لحماً ناضجاً وقال له يا رسول اللّه خذ هذا لأحد فقراء المسلمين وكان الفقراء الذين مع النبي ﷺ قد انتهوا من العشاء فسألهم النبي ﷺ وقال لهم هل أحدكم بحاجة إلى اللحم فقالوا له يا رسول اللّه لأننا إنتهينا من الطعام فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة رضي اللّه عنه خذ هذا اللحم وأعطه لأم اليتامى وهي امرأة توفي زوجها وترك لها يتامى فقراء وذهب أبو هريرة رضي اللّه عنه إلى دار أم اليتامى ليعطيها اللحم وطرق الباب فقالت له من أنت قال أبو هريرة فقالت خيراً يا أبا هريرة، قال لها : إن رسول اللّه ﷺبعث إليك ولأولادك بهذا الطعام فقالت له بلّغ رسول اللّه السلام وقل له جزاك اللّه عنا خيراً فإن أولادي قد أكلوا وناموا فقال لها أبو هريرة رضي اللّه عنه خذي هذا الطعام حتى يقوم أولادك غداً فردت عليه قائلةً سل رسول اللّه وقل له أيضمن حياة أولادي إلى غد يا أبا هريرة ؟ خذ هذا الطعام وادفعه إلى من هو أفقر منا .

أنوار العارفين

سئل الحسن البصري رضي اللّه عنه مرة فقيل له أي الأيام عندك عيد يا تقي الدين .

فقال الحسن البصري رضي اللّه عنه كل يوم لا أعصي اللّه فيه فهو عيد .

قالوا له فما سر زهدك في الدنيا يا أبا الحسن ؟

قال لهم علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فأطمأن قلبي .

وعلمت أن عملي لا يقوم به سواي فاشتغلت به .

وعلمت أن اللّه مطلع علي فاستحيت أن يراني على معصية .

وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء اللّه .

محاسبة النفس

بينما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يمشي ذات يوم في الهزيع الأخير من الليل سمع بكاء طفل فأفزعه البكاء. فذهب عمر رضي اللّه عنه إلى البيت الذي سمع منه عويل الطفل وقال لأم الطفل يا أم الطفل اسكتي طفلك ومرت ساعة وعاد ولم يسكت الطفل فقال لأم الطفل اسكتي طفلك ومضت مدة وعاد فوجد الطفل لا زال يبكي فقال لأم الطفل اسكتي طفلك لا أراك إلا أم سوء فقالت له يا أخا العرب لقد آذيتني إن عمر بن الخطاب لا يعطيني الاجرة إلا للطفل إذا انفطم ولا يربط له من بيت المال إلا إذا فطم وأنا أعوده الفطام حتى يكون له من بيت مال المسلمين نصيب ولم تدر أنها تكلم عمر رضي اللّه عنه فذهب عمر رضي اللّه عنه ليصلي الفجر فقال عبد الرحمن بن عوف رضي اللّه عنه واللّه ما استطعت أن أتبين قراءة القرآن من عمر من شدة بكائه في الصلاة ولما فرغ من الصلاة قلب كفيه حزناً وقال لك اللّه يا عمر كم قتلت من أطفال المسلمين وما إن طلعت الشمس حتى أصدر أمراً بأن من ولد له مولود فبمجرد ولادته يجرى له رزقه من بيت مال المسلمين .

الإخلاص

كان في عهد الخليفة الأموي الثامن عمر بن عبد العزيز رضي اللّه عنه الذئب يحرس الغنم فسأله راعي عمر رضي اللّه عنه وقال له يا أمير المؤمنين ما بالنا نرى الذئب يحرس الغنم؟

فقال له أمير المؤمنين رضي اللّه عنه :

أخلصت ما بيني وبين ربي فأخلص اللّه ما بين الذئب والغنم .

أهدى حسناته

حكي عن الحسين بن علي رضي اللّه عنهما أنه بلغه عن رجل كلام يكرهه فأخذ طبقاً مملوءاً من التمر الجني وحمله بنفسه إلى دار ذلك الرجل فطرق الباب فقام الرجل وفتح الباب فنظر إلى الحسين رضي اللّه عنه ومعه الطبق فقال وما هذا يا ابن بنت رسول اللّه فقال له خذه فإنه بلغني عنك أنك أهديت إلي حسناتك فقابلتك بهذا .

الأسرة الصالحة

كان أحد الصالحين واسمه ثابت بن ابرهيم يسير ذات يوم في مدينة الكوفة إذ سقطت تفاحة من بستان فأخذها فأكل نصفها وتذكر أنها ليست ملكه فدخل على البستاني وقال له أكلت نصف تفاحة فسامحني فيما أكلت وخذ النصف الآخر فقال له البستاني أنا لا أملك السماحة لأن البستان ليست ملكي وإنما هي ملك سيدي فقال له وأين سيدك حتى أذهب إليه وأستسمحه ؟

فقال له البستاني بينك وبينه مسيرة يوم وليلة فقال له لأذهبن إليه مهما كان الطريق بعيداً فلا يحل لي أن آكل شيئاً بدون إذن مالكه والنبي ﷺ يقول من نبت جسمه من حرام فالنار أولى به .

وحملته قدماه إلى بيت صاحب البستان وطرق بابه وفتح له الرجل الباب وبعد أن سلم عليه قال له يا سيدي سامحني فيما أكلت من التفاحة وهذا هو نصفها الآخر فنظر صاحب البستان إليه وقال له يا هذا لا أسامحك إلا بشرط واحد فقال له وما هو ؟

فقال له أن تتزوج ابنتي فقال ثابت في نفسه وهذا شرط أكل نصف تفاحة وأتزوج ابنتك ما هذا ؟ ولكن أبا الفتاة قال له إليك أوصافها قبل أن تعقد عليها وتدخل بها إنها عمياء، انها بكماء، انها صماء، انها مقعدة. وفكر ثابت في هذا الأمر وقال في نفسه أهذه زوجة يصح أن أقترن بها ومن أجل هذا لا يريد أن يسامحني فيما أكلت ثم قال له صاحب البستان بغير هذا الشرط لا أسامحك فقال ثابت قبلت خطبتها وسأقبل زواجها وأتاجر فيها مع اللّه رب العالمين، أقوم على خدمتها وأكون بذلك قد وضعت لي حسنات عند اللّه تعالى .

فدعا أبوها بشاهدين فشهدا على العقد وعقد العقد وإذا بصاحب البستان يأتي بابنته ويدخلها حجرته ليدخل عليها زوجها ليلاً واستعد ثابت للدخول على زوجته فدخل عليها وقال سألقي عليها السلام وأنا أعلم أنها صماء لترد علي ملائكة الرحمن السلام فألقى عليها السلام فردت عليه السلام وهبت واقفة ووضعت يدها في يده فقال ثابت ماذا حدث ؟ ردت السلام إذن هي ليست بكماء وسمعت السلام إذن هي ليست صماء وقامت واقفة إذن هي ليست مقعدة ومدت يدها إلى يدي إذن هي ليست عمياء فلماذا أخبرني أبوها بأنك عمياء بكماء صماء مقعدة فقالت له الفتاة قد صدق أبي فقال لها ثابت ولكني لا أرى شيئا من هذا كله فقالت له إن أبي أخبرك بأنني عمياء لأن عيني لم تنظر إلى ما حرم اللّه عمياء عن الحرام، صماء الاذنين عن كل ما لا يرضي اللّه، بكماء اللسان لأن لساني لا يتحرك إلا بذكر اللّه، مقعدة لأن قدمي لم تحملني على مكان يغضب اللّه تعالى .

فقال ثابت فنظرت إلى وجهها فكأنما قطعة قمر ليلة التمام ودخل بها وأنجب منها مولوداً ملأ طباق الأرض علماً إنه الإمام الجليل أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه .

رجل من أهل الجنة

كان الرسول الكريم ﷺ يعظ الناس عقب صلاة العصر فقطع كلامه بغته وقال : «سيطل علينا من هذه الجهة رجلٌ من أهل الجنة» فاتجهت أنظار الصحابة كلها إلى هذه الناحية : فإذا أعرابي يأتي فيلقي السلام ويصلي العصر وينصرف فلما كان اليوم الثاني بشرهم الرسول ﷺ بهذه البشارة فوجدوه رجل الأمس وفي اليوم الثالث كذلك فسار وراءه صحابي جليل فوجدهُ من قرية السنح فتمهل عليه حتى جلس أمام منزله وألقى عليه السلام فقال له تفضل يا أخا الاسلام أنت ضيفي فقبل الصحابي دعوتهُ ومكث عنده ثلاث ليال فلم يجده كثير صلاة ولا كثير صيام ولا كثير صدقة فقال الصحابي له خبرني بازكى عمل عملته فإني سمعت بشارة الرسول ﷺ لك ثلاثاً بأنك من أهل الجنة ؟

فقال هو ما ترى غير أني لا أجد في قلبي غشاً ولا حقداً على خير أعطاه الله لأحد .

فقال الصحابي له هي التي بلغتْ بك .

صفات الله

قيل للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا علي صف لنا ربك ؟ فقال الامام علي رضي الله عنه سبحان ربي لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فوق كل شيء وليس تحته شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ .

أيها الراكب

خرج إبراهيم بن أدهم إلى الحج ماشياً. فرآه رجل على ناقته فقال له :

إلى أين يا إبراهيم ؟

قال : أريد الحج .

قال : أين الراحلة ؟ فإن الطريق طويلة .

فقال : لي مراكب كثيرة لا تراها .

قال : ما هي ؟

قال : إذا نزلت بي مصيبة ركبت مركب الصبر .

وإذا نزلت بي نعمة ركبت مركب الشكر .

وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضا .

فقال له الرجل : سر على بركة اللّه. فأنت الراكب وأنا الماشي .

القمـــر

ضل أعرابي طريقة في البادية فإذا بالقمر يطلع عليه فيكشف له الطريق .

فينظر الرجل إلى القمر متأملاً معبراً عن شعوره ويناجيه قائلاً :

أيها القمر كيف أشكرك وأثني عليك ؟

إن قلت رفعك اللّه فقد رفعك !

وإن قلت نوّر اللّه محياك فقد نوره !

وإن قلت جمّل اللّه صورتك فقد جمّلها !

obeikandl.com

فماذا أقول ؟

ليس لي إلاّ أن أدعو اللّه أن يبقيك لنا نوراً ويزيدنا بك هداية وسروراً .

قالوا في المرأة

– حذار أن ترفض لامرأتك نصيحتها الأولى وحذار أن تقبل نصيحتها الثانية «مثل انجليزي»

– المرأة عزيزة على الرجل مرتين يوم يتزوجها ويوم يدفنها ..... «مثل روسي»

– تظل المرأة من الجنس اللطيف إلى أن تتزوج ..... «الياس قنصل»

– لا تطلب الفتاة من الدنيا إلاّ زوجاً فإذا جاء طلبت منه كل شيء «شكسبير»

– أجمل العيون وأكذبها عيون النساء ..... «مثل برازيلي»

– سواء كانت المرأة جميلة أم قبيحة فهي ليست بذات قيمة. فالدميمة توجع القلب والجميلة توجع الرأس ..... «بيسون»

أينما تكونوا يدرككم الموت

كان نبي اللّه سليمان بن داود عليهما السلام جالساً ذات يوم مع أحد وزرائه فدخل عليه رجل في هيئة جليلة وجميلة فلما إنصرف ذلك الرجل قال الوزير لنبي اللّه سليمان على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام من هذا الذي كان يجلس معك يا نبي اللّه ؟

فقال له إن الذي كان يجلس معي هو ملك الموت فلما سمع الوزير بذلك ارتعدت

obeikandl.com

أوصاله وتفككت أعصابه وقال لسليمان عليه السلام أرجوك أيها الملك أن تأمر الريح أن تحملني إلى بلاد الهند فما كان لي أن أجلس في مكان جلس فيه ملك الموت ونفذ له سليمان ما طلب وحملتهُ الريح إلى بلاد الهند وبعد ذلك حضر ملك الموت لسليمان عليه السلام وقال له يا نبي اللّه أين الرجل الذي كان يجلس معك ؟

فقال له حملتهُ الريح إلى بلاد الهند خوفاً منك فقال له ملك الموت إنني لما رأيتهُ جالساً عندك عجبت لذلك لأن اللّه تعالى أمرني أن أقبض روحه في بلاد الهند في ساعة كذا فلما رأيتهُ عندك عجبت وقلت سبحان اللّه إن اللّه لا يغير الزمان ولا المكان ولكني عندما ذهبت إلى الهند وجدته في المكان الذي حدده اللّه تعالى لي فقبضت روحه هناك .

كلام دقيق

سئل الامام جعفر الصادق رضي اللّه عنه فقيل له يا إمام إذا كان اللّه كتب علينا فلم يحاسبنا .

فقال الامام إن اللّه تعالى أراد بنا أشياء وأراد منا أشياء فأخفى ما أراد بنا وأظهر ما أراد منا فاحتججنا بما أراد بنا وتركنا ما أراد منا .

الاستغفار

جاء رجل إلى الامام الحسن البصري رضي اللّه عنه فقال له يا تقي الدين إن السماء لم تمطر فقال له الحسن استغفر اللّه. ثم جاءه رجل آخر فقال له يا تقي الدين أشكو الفقر فقال له استغفر اللّه. ثم جاءه ثالث فقال له يا تقي الديم امرأتي عاقر لا تلد فقال له استغفر اللّه. ثم جاء بعد ذلك من قال له يا تقي الدين أجدبت الأرض فلم تنبت فقال له استغفر اللّه ثم جاء

بعد ذلك من قال له يا تقي الدين جف الماء في الأرض فقال له استغفر اللّه .

فقال الجالسون للحسن البصري عجبنا لك يا حسن أو كلما جاءك شاكٍ قلت له استغفر اللّه فقال لهم الحسن أو ما قرأتم قوله تعالى ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً**﴾ .

غرور العلم

دخل أحد العلماء البلد وقال لأهله أنا مستعد أن أجيب على أصعب سؤال وكان موجوداً بين الحاضرين الامام الجليل أبو حنيفة رضي اللّه عنه. فقال له أبو حنيفة أنا أسألك سؤالاً فقال له العالم ما هو ؟ فقال له الامام أبو حنيفة إن النملة التي كلمت سيدنا سليمان عليه السلام كانت ذكراً أم أنثى ؟

فسكت الرجل العالمَ وقال اللّه أعلم. فقام أبو حنيفة وقال له لقد كانت أنثى فقال له الرجل العالم، وما الدليل على ما تقول يا أخي قال له الامام أبو حنيفة لأن اللّه يقول في القرآن الكريم :

﴿**وقالت نملة**﴾ بتاء التأنيث وبعد ذلك قال له الامام أبو حنيفة إني ما كنت أسألك أسئلة ولكني أحببت أن أقول لك لا تغتر بنفسك .

بيت اللّه

حدث بين أمير المؤمنين هارون الرشيد رضي اللّه عنه وبين زوجته نزاع فأقسم عليها بالطلاق ألا تبيت الليلة في ملكه وكان ملكه يمتد من حدود الصين شرقاً إلى حدود باريس غرباً فكيف تغادر زوجته ملكه في ليلة ولم يكن هناك وسائط نقل سريعة فاستدعى العلماء

الأجلاء وكان من بينهم الإمام الجليل أبو يوسف رضي الله عنه وبعدما انتهى من عرض القضية عليهم قال له الإمام أبو يوسف : يا أمير المؤمنين إن يمينك لم يقع فقال له أمير المومنين ولماذا يا أبا يوسف ؟ فقال له الإمام أبو يوسف لأنها ستقضي الليلة في المسجد والمسجد ليس في ملكك إنما هو ملك الله .

قال الله تعالى : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾، وقضت زوجة أمير المؤمنين ليلتها في المسجد ولم يقع اليمين .

أكرم الناس

جاء سائل إلى النبي محمد ﷺ ذات يوم يطلب منه الاحسان ولم يكن مع النبي ﷺ ما يتصدق به وكان الرسول ﷺ لا يرد أحد فقال الرسول ﷺ للسائل يا أخا الاسلام اشتر ما شئت وقل على حساب محمد .

فقال صحابيٌّ لمَ تكلف نفسك ما لا تطيق يا رسول الله ؟ فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يعرفون الغضب في وجهه بحمرة صافية .

ولكنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه تدارك الموقف وقال يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً .

فابتسم الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك .

تارك الصلاة

يصيب تارك الصلاة ستة في الدنيا. وثلاثة عند الموت. وثلاثة في القبر. وثلاثة عند خروجه من القبر .

أما الستة التي تصيبه في الدنيا فهي :

– ينزع اللّه البركـــة من عمـره

– ويمسح اللّه سيما الصالحين من وجهه .

– وكل علم لا يؤجره اللّه عليه .

– ولا يرفع اللّه عز وجل له دعاء إلى السماء .

– وتمقته الخلائق في دار الدنيا

– وليس له حظ في دعاء الصالحين

أما الثلاثة التي تصيبه عند الموت فهي :

يموت ذليلاً، ويموت جائعاً، ويموت عطشاناً ولو سقي مياه الدنيا ما روي من عطشه .

أما الثلاثة التي تصيبه في قبره فهي :

– يضيقه اللّه عليه ويعصر حتى تختلف أضلاعه .

– يوقد عليه في قبره ناراً يتقلب على جمرها ليلاً ونهاراً .

– يسلط اللّه عليه ثعباناً صوته كالرعد يضربه على ضياع الصلوات الخمس .

– أما الثلاثة التي تصيبه يوم القيامة فهي :

– يسلط اللّه عليه من يسحبه إلى نار جهنم على حر وجهه .

– وينظر اللّه إليه بعين الغضب وقت الحساب فيقع لحم وجهه .

– ويحاسبه اللّه حساباً ما عليه مزيد سرمداً طويلاً ثم إلى النار وبئس القرار .

لو أنصف الناس

عيّن أبو بكر رضي اللّه عنه عمر بن الخطاب قاضياً على المدينة فمكث عمر سنة لم يفتح

obeikandl.com

جلسة ولم يختصم إليه اثنان فطلب من أبي بكر إعفاءه من القضاء. فقال أبو بكر : أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء ؟ فقال عمر : لا يا خليفة رسول الله ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين عرف كل منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه. وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه. أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه : إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه. وإذا أصيب واسوه .

دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففيما يختصمون .

مصرع الظالمين

قال هناد بن الأسود : تجهزت أنا وأبو لهب وابنه عتبة مع قوم لنا للسفر إلى الشام فقال عتبة : والله لأنطلق إلى محمد ولأوذنيه في ربه فانطلق حتى أتى النبي ﷺ وقال : يا محمد أنا أكفر بالله العظيم فدعا عليه النبي ﷺ قائلاً : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» ثم رجع عتبة إلى أبيه فذكر ما جرى فقال له أبو لهب : يا بني والله ما آمن عليك من دعائه وبعد ذلك سافرنا إلى الشام وفي الطريق نزلنا ليلاً في صومعة راهب وأوصى أبو لهب المحافظة على ولده عتبة من دعوة محمد ﷺ وطلب من القوم أن يفرشوا لعتبة بينهم ويحيطوا به من كل جانب ففعلوا ذلك. فجاء أسد إليهم فجعل يشم رؤوس القوم واحداً واحداً ثم يتركهم حتى وصل إلى عتبة فوثب عليه وقطع رأسه عن جسده وجعل أبو لهب يقول والله لقد أصابته دعوة محمد .

وإنك لعلى خلق عظيم

بينما رسول الله ﷺ يمشي في أحد طرق مكة المكرمة إذ رأى عجوزاً وبجانبها متاع،

فقالت له : يا أخا العرب احمل علي هذا المتاع. فقال رسول اللّه ﷺ : بل أحمله عنك فحمله وسار معها. فقالت له المرأة العجوز : إن في مكة رجلاً ادعى النبوة اسمه محمداً فإياك أن تؤمن به وتصدقه. فقال لها : أنا محمد فقالت أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه. وإنك لعلى خلق عظيم .

زيارة الوداع

لمّا مرض الرسول عليه الصلاة والسلام مرضه الأخير وبينما هو على فراش الموت جاءه وفد من أصحابه يعودونهُ وعلى رأسهم الصحابي عبد اللّه بن مسعود رضي اللهه عنه، وكانت زيارة الوداع فعندما التقت عينا رسول اللّه ﷺ بهم قال لهم مرحباً بكم حياكم اللّه ونفعكم اللّه وسددكم اللّه إن اللّه تعالى أمرني وإياكم بتقواه وأن لا نتكبر على اللّه في بلاده وعباده، فقال لي ولكم ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾ ودار حوار بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين الصحابي عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه .

فقال عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه يا رسول اللّه فمتى الأجل ؟

قال الرسول عليه الصلاة والسلام يا ابن مسعود لقد دنا الذهاب إلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى وسدرة المنتهى .

قال عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه فمن يغسلك ؟

قال الرسول عليه الصلاة والسلام جماعة من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لا ترونهم .

قال عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه ففيم نكفنك يا رسول اللّه ؟

قال الرسول عليه الصلاة والسلام في يمنية بيضاء .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فمن يصلي عليك يا رسول الله ؟

قال الرسول عليه الصلاة والسلام إذا غسلتموني وكفنتموني فدعوني على شفير القبر ساعة وحدي فإن أول من يصلي على خليلي الله رب العالمين ثم يصلي علي جليساي جبريل وميكائيل ثم يصلي علي ملك الموت ثم ادخلوا علي جماعات وفرادى وصلوا عليَّ، واشهدكم أن تبلغوا من غاب من صحابتي السلام مني، واشهدكم أنني أسلم على كل من قال لا إله إلا الله. الصلاة والسلام عليك يا رسول الله .

وجاءت ساعة الموت ولم يكن بجانب الرسول عليه الصلاة والسلام إلا ريحانتُهُ فاطمة رضي الله عنها فنظرت إلى أبيها وهو يمسح الوجه الشريف بماء بارد ويدعو الله قائلاً اللهم هون عليَّ سكرات الموت سبحان الله إن للموت لسكرات وسالت دموع فاطمة رضي الله عنها وقالت واكرباه على كربك يا أبتاه فقال لها رسول الله ﷺ : يا فاطمة لا كرب على أبيك بعد اليوم وأسلم الروح إلى الله .

عدالة إسلامية

لما نزلت بالمسلمين شدة أيام خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان طعام عمر الزيت وكان مداوماً على أكل الزيت حتى اصفر وجهه الذي كان كقطعة القمر حتى صارت بطنه تحدث أصواتاً فكان يقول لبطنه صوتي أو لا تصوتي لن تذوقي اللحم حتى يشبع أطفال المسلمين .

من حكم ابن عطاء السكندري

– اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طُلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

– الكون كله ظُلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه .

– إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس .

– من علامات النجاح في النهايات الرجوع إلى اللّه في البدايات .

– قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته .

– كفى من جزائك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً .

– الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل به اللّه .

– الصلاة طهور للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب – الصلاة كل المناجاة ومعدن المصفاة – تتسع لميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار .

– لا تصحب إلاّ من ينهضك إلى اللّه حاله ويدلك على اللّه فعاله .

– لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله .

– أنت حر مما أنت عنه يائس وعبد لما أنت له طامع .

– أنت مع الأكوان إذا لم تشهد المكون فإن شهدته كانت الأكوان معك .

كم يساوي الملك

دخل ابن السماك يوماً على أمير المؤمنين هارون الرشيد فوجده يرفع الماء على فمه ليشرب .

فقال : ناشدتك اللّه يا أمير المؤمنين أن تنتظر به قليلاً. فلما وضع الماء قال له :

استحلفك باللّه لو مُنعت هذه الشربة من الماء فبكم تشتريها ؟

فقال : بنصف ملكي، قال : إشرب هنّاك اللّه .

فلما شرب قال : أستحلفك باللّه تعالى لو أنك منعت خروجها من جوفك بعد هذا فبكم

كنت تشتريها ؟

قال : بملكي كله .

فقال : يا أمير المؤمنين إن ملكاً تربو عليه شربة ماء وتفضله بولة واحدة لخليق ألاّ ينافس فيه .

فبكى هارون الشريد حتى ابتلت لحيته .

حكمة ووقار

جاء شاب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ذات يوم ودماء الشهوة ثائرة في عروقه وكان النبي ﷺ جالساً بين أصحابه فقال الشاب بأعلى صوته إئذن لي بالزنا يا رسول اللّه ؟

فثار الجالسون حول النبي ﷺ وفارت دماء الغضب في عروقهم فجلس الرسول عليه الصلاة والسلام في هدوء يرسل الحكمة كما يرسل القمر أضواءه فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه أن يهدأوا ثم دعا الشاب إليه فجلس أمام الحضرة النبوية الكريمة وفي هدوء الأستاذ مع التلميذ وفي حكمة الطبيب مع المريض فقال الرسول عليه الصلاة والسلام للشاب ماذا تريد يا فتى ؟

فقال له الشاب إئذن لي بالزنا يا رسول اللّه ؟

فقال له النبي ﷺ يا فتى أفترضاه لأمك ؟

فقال الفتى لا يا رسول اللّه جعلني اللّه فداك فأعاد النبي ﷺ السؤال مرة أخرى وقال للشاب أفترضاه لأختك ؟ أفترضاه لعمتك ؟ أفترضاه لخالتك ؟

فقام الشاب وجلس أمام النبي ﷺ وقال أدع اللّه لي يا رسول اللّه فتوجه النبي ﷺ إلى اللّه بثلاث دعوات لهذا الفتى فقال ﷺ في الدعوة الأولى «اللهم حصن فرجه، وطهّر قلبه، واغفر ذنبه» فقال الشاب : خرجت من عند رسول اللّه ﷺ وليس على وجه الأرض أحدٌ أحب اليّ منه .

مع أميرنا علي

عندما تولى سيدنا علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه الخلافة جاءهُ أخوه عقيل بن أبي طالب رضي اللّه عنه وقال له يا عليُ أصبحت أمير المؤمنين وأريد أن تعطيني بعض المال فقال له علي رضي اللّه عنه إذا كان المساء فأتنا يا عقيل وجاء علي بصرة ووضع فيها حديدةً محمية في النار وجاء عقيلٌ والظلام دامس وقال له هل أحضرت المال يا علي ؟

فقال له علي خذ هذه الصرة فمدَّ عقيلٌ يده فاحترقت يدهُ وخر على الأرض مغشياً عليه، فلما أفاق قال له علي ثكلتك أمك يا عقيل إذا كان هذا حالك من نار الدنيا فكيف يكون حالي وحالك إذا جئت معك يوم القيامة مسلسلين في الحديد إلى نار جهنم، يا عقيل من خان المسلمين في درهم أو دينار نصب له جسر يوم القيامة على نار جهنم فيقف فوقهُ فيخر الجسر من تحت قدميه فيهوي في النار سبعين خريفاً .

❁ ❁ ❁

هذا هو علي

قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنه يا علي إن اللّه خصك بثلاثة أشياء تزوجت فاطمة وهي سيدة نساء أهل الجنة ورزقت الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة وصاهرت محمداً وهو سيد الأولين والآخرين ولا فخر .

❁ ❁ ❁

أخلاقنا في بر الوالدين

قيل لعمر بن ذر، كيف برّ ابنك، قال ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقي سطحاً وأنا تحته .

❁ ❁ ❁

يملك ولا يشتهي

لما فرغ ابن عباس من طعام الوليمة قال : الحمد لله الذي جعلنا نشتهيه فقال له صديق وهل من أحد لا يشتهي مثل هذا فقال : نعم كثيرون يملكون ولا يشتهون، وكثيرون يشتهون ولا يملكون، وكثيرون لا يشتهون ولا يملكون .

علماء مجاهدون

إن العالم الزاهد الامام أبا الحسن أحمد بن سنان رضي اللّه عنه دخل على حاكم مصر أحمد بن طولون ذات يوم وقال له يا ابن طولون اتق اللّه ؟ فعجب الجالسون حوله واستشاط ابن طولون غضباً وبعد ذلك قال لحرسه جوعوا له الأسد ثلاثة أيام فجوع الأسد حتى اشتد به الجوع وكاد أن يأكل كل ما أمامه من بشر أو حيوان ولو كان خشباً أو حجراً وأدخلوا العالم قبل الأسد في حجرة ليخلو به الأسد الجائع وجاء حارس الأسد بالأسد وأدخله على العالم أبي الحسن وأغلق الباب عليهما ليخلو الأسد بفريسته وبعد يوم أراد الحارس أن يرفع تقريراً إلى الأمير ففتح الباب على الأسد وظن أنه سيجد بقايا العالم من دم وعظام ولكنه رأي العالم ساجداً لله تعالى والأسد واقف في حراسته لم يمسسه بسوء والعابد يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى والأسد مطأطىء رأسه لربه الأعلى فرفع الحارس ما شاهده إلى الأمير فقال الأمير أئتوني بهذا العالم فجيىء به ودخل على الأمير مرفوع الرأس عزيزاً باللّه فقال له الأمير كيف حالك ؟ فقال له حالي بخير كما تراني قال له الأمير كيف كان شعورك عندما دخل الأسد عليك ؟ فقال له العالم كنت أقرأ قوله تعالى ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾ .

فقال له الأمير فماذا كنت تخاف والأسد معك ؟

فقال له العالم كنت أخاف أن يمسني الأسد بلعابه فينجس ثوبي فلا أستطيع الصلاة وبعد

ذلك شكره الأمير وعفا عنه وقبل نصيحته وأطلق سراحه .

«مناجاة»

كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يناجي ربه قائلا :

إلهي لا يطيب الليل إلا بمناجاتك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك .

غيرة الزوجة

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء . فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت :

هل كانت إلاّ عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها ..

قالت : فغضب ﷺ حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال :

«لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها؛

لقد آمنت بي إذ كفر الناس؛

وصدقتني إذ كذبني الناس؛

وواستني بمالها إذ حرمني الناس؛

ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد النساء» .

قالت : فقلت بيني وبين نفسي لا أذكرها بسوء أبداً .

opeikan.com

خشية اللّه

كتب عدي بن إرطأة – عامل لعمر بن عبد العزيز – إليه :

«أما بعد فإن اناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شيء من العذاب»

فكتب إليه عمر :

أما بعد : فالعجب كل العجب من إستئذانك إياي في عذاب البشر كأني جُنَّة لك من عذاب اللّه. وكأن رضاي ينجيك من سخط اللّه .

إذا أتاك خطابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فأخلفه .

فواللّه لأن يلقوا اللّه بجناياتهم أحبُّ إليّ من أن ألقاه بعذابهم والسلام .

ظلال القرآن

قال سيد قطب : «الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلاّ في ذاقها، لقد عشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة. أنظر إلى تعاجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال .

وعشت في ظلال القرآن أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها اللّه وحركة هذا الكون الذي أبدعه اللّه .

ثم أنظر فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تُملى عليها وبين فطرتها التي فطرها اللّه عليها. وأقول في نفسي : أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم ؟ يا حسرة على العباد .

وعشت في ظلال القرآن أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهرة للشهود، أكبر في حقيقته،

وأكبر في تعدد جوانبه. إنه عالم الغيب والشهادة، لا عالم الشهادة وحدها. وأنه الدنيا والآخرة لا هذه الدنيا وحدها .

وعشت في ظلال القرآن – أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية، والمؤمن ذو نسب عريق ضارب في شعاب الزمان. فعقيدة المؤمن هي بطنه، وهي قومه، وهي أهله. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها لا على ما تتجمع هذه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج .

وفي ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للفلتة العارضة ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ ..

الرضـــا

عروة بن الزبير أحد فقهاء التابعين. قرر الأطباء قطع رجله لمرض يضر بقية جسمه، فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يئن ولا يشتكي، وشاء القدر أن يبتلي الرجل على قدر إيمانه، ففي هذه الليلة التي قطعت فيها رجله سقط ابن له كان أحب أولاده إليه من سطح البيت فمات. فدخلوا عليه ليعزوه فيه فقال :

اللهم لك الحمد، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة. فإن كنت أخذت فلقد أعطيت. ولئن كنت ابتليت فلقد عافيت .

أسفار الصالحين

خرج الأصمعي حاجاً بيت اللّه الحرام وبينما هو في طريقه إلى البيت الحرام خرج عليه

أحد الأشرار بسيفه وقبل أن يقتلهُ قال له ماذا تعمل أيها الرجل ؟

فقال له الاصمعي أقوم بتحفيظ الأولاد كتاب اللّه تعالى فقال له قاطع الطريق اسمعْني آيةً من هذا الكتاب الذي أسمع عنهُ ولم أقرأ منه شيئاً ؟ وعندئذٍ تتجلى لنا عبقرية الاصمعي في القراءة فقال الأصمعي ﴿**بسم اللّه الرحمن الرحيم وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾ فلما سمعها قاطع الطريق قال أعدها على سمعي فأعادها الامام مرةً ومرة وإذا بقاطع الطريق تدمع عيناه دموع الندم ويرمي بسيفه وآلته ويتوجه إلى اللّه تعالى ويقول سبحانك ربي ضمت لي رزقي في السماء وأنا أعصيك واللّه لا أقطع الطريق بعد اليوم أبداً ولقد تبت على يديك أيها الرجل توبةً لا أعصي اللّه بعدها أبداً وبعد ذلك توجه الأصمعي إلى بيت اللّه الحرام وبينما هو يطوف بالبيت الحرام ذات ليلةٍ إذ سمع صوتاً يئن أنين الثكالى وينطلق إلى عنان السماء يبكي ويقول الهي ها أنا ذا الآن واقفٌ ببابك ألوذ بجانبك فلا تطردني من رحابك فلما اقترب منه الأصمعي وتفرس في وجهه وجده قاطع الطريق الذي تاب على يديه فقال للأصمعي أسمعني آيةً أخرى من كتاب اللّه فقرأ عليه ﴿**فو رب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون**﴾ .

وإذا بقاطع الطريق يخر مغشياً على الأرض ويصيح قائلاً من الذي أغضب الجليل حتى جعله يحلف ؟

ستّار العيوب

إن موسى عليه السلام بما له من مكانة عالية ودرجةٍ رفيعة عند اللّه تبارك وتعالى من أجل رجل عاصٍ كان يصلي معهم أبت السماء أن تمطر فقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل من كان منكم عاصياً للّه فليفارقنا لينزل اللّه المطر، فأبى أحدٌ أن يخرج ولما لم يجد موسى عليه السلام بداً صلى بهم فأمطرت السماء مطرها فقال موسى عليه السلام يارب أنزلت المطر ولم يخرج العاصي .

فقال له اللّه تبارك وتعالى يا موسى لقد تاب العاصي توبةً نصوحاً وقبلت منه توبتهُ وإذا بكليم اللّه موسى عليه السلام يقول يا رب أريد أن أعرفَ من هذا فقال له مولانا تبارك وتعالى وكيف هذا يا موسى سترته وهو عاص فكيف أفضحه بعدما تاب إليَّ .

✿ ✿ ✿

الجنة تحت أقدام الأمهات

كان لأحد الصالحين أم يقوم بنفسه على خدمتها ولا يشرك زوجته في أمر من أمور أمه فعندما توفي وصعدت روحه إلى اللّه لقي اللّه وهو عليه غضبان، فقالت الملائكة يا ربنا لقد كان يكرم أمه فقال اللّه لهم يا ملائكتي أنتم لا تعلمون ماذا كان يقول بيني وبينهُ إنهُ كلما قدم لها طعاماً سألني قائلا اللهم خذها وأرحني منها .

✿ ✿ ✿

ورع الخلفاء

روي أن علياً بن أبي طالب رضي اللّه عنه دخل ذات ليلة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، وكان عمر جالساً يكتب مرتبات الموظفين وبجانبة فتيلة توقد بالزيت فلما دخل عليه علي رضي اللّه عنه قال له أجئتنا بأمر يخصك أم بأمر يخص المسلمين ؟ فقال له علي رضي اللّه عنه لماذا تسألني هذا السؤال يا أمير المؤمنين ؟ قال له إن كنت جئتنا بأمر يخص المسلمين تركت المصباح مضيئاً وإن كنت جئتنا بأمر يخصك أنت أطفأت المصباح حتى لا نستعمل أموال المسلمين في غير مصالح المسلمين .

✿ ✿ ✿

الوصايا العشر

إن سيدةً من سيدات الإسلام عندما زفت ابنتها إلى بيت الزوجية أوصتها وصيةً غاليةً

فقالت لها يا ابنتي إن الوصية تذكرة للغافل ومعونةٌ للعاقل واعلمي بأن النساء خلقن للرجال ولهن خلق الرجال يا ابنتي إذا أردت أن تدوم المعاشرة بينك وبين زوجك فكوني أمة يكن لك عبداً وكوني له أرضاً يكن لك سماءاً واحفظي له خصالاً عشرة يكن لك بها ذخراً .

أما الوصية الأولى والثانية فعليك بالخشوع له بقناعة وحسن السمع له والطاعة .

وأما الوصية الثانية والثالثة والرابعة فتفقدي مواضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الوصية الخامسة والسادسة فتفقدي أوقات طعامه ومنامه فإن شدة الجوع ملهبة وتنغيص المنام مغضبة .

وأما الوصية السابعة والثامنة فالاحتراس لماله وحسن الارعاع لحشمه وعياله وملاك الأمر في المال حسن التدبير وفي العيال حسن التقدير .

وأما الوصية التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً إنك إن أفشيت سره أوغلت صبره وإن خالفت أمرهُ لم تأمني غدرهُ ثم ختمت وصيتها الغالية قائلةً إياك والفرح بين يديه إن كان حزيناً وإياك والحزن بين يديه إن كان فرحاً .

قلوب عامرة بالحب الالهي

روي يحيى بن بسطام حيث قال : دخلت يوماً مع نفر من أصحابنا على عفيرة العابدة الضريرة وقد تعبت وتعبدت ربها كثيراً وبكت خوفاً من اللّه جلَّ شأنه حتى عميت فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه ما أشد العمى على من كان بصيراً. فسمعت عفيرة قوله فقالت يا عبد اللّه عمى القلب عن اللّه أشد من عمى العين عن الدنيا وإني لوددت أنَّ اللّه وهب لي كنه محبته وانْ لم يبق مني جارحة إلاّ أخذها .

إلهي

قال ابن عطاء يناجي ربه سبحانه وتعالى :

إلهي : أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري .

إلهي : أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جاهلاً في جهلي .

إلهي : مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك .

إلهي : ما ألطفك بي مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي .

إلهي : إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك من السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء .

إلهي : كيف تكلني إلى نفسي وقد توكلت عليك وكيف أضام وأنت الناصر لي، كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت إليك.

إلهي : كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما آيستني أوصافي أطمعتني منتك .

إلهي : كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر .

عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة شخص لم يجعل له من حبك نصيباً .

نصائح قاض

قال رجل ليحيى بن أكثم : كم آكل ؟

فقال : فوق الجوع دون الشبع .

فقال : فكم أضحك ؟

قال : حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك .

قال : فكم أبكي ؟

قال : لا تمل البكاء من خشية اللّه .

قال : فكم أخفي عملي ؟

قال : ما استطعت .

قال : فكم أظهر منه ؟

قال : ما يحفظك من كلام الناس .

❁ ❁ ❁

الصلاة على النبي شفاء

يقول الإمام أبو عبد اللّه البوصيري رضي اللّه عنه صاحب بردة المديح أصبت بالشلل النصفي فحار الطبيب في شفائي فصليت على الرسول عليه الصلاة والسلام مائة مرة قبل أن أنام ونمت والشلل يعطل نصفي وإذا بالرسول عليه الصلاة والسلام في المنام يخلع بردته علي وقال لي أبشر بالشفاء من اللّه، فقمت من نومي كأن لم يكن بي ضر قبل ذلك وبعد أن شفي ألّفَ البردة وكان اسمها في الحقيقة البرأى لأنها برء من الأذى والمرض ولكنه سماها البردة إكراماً لبردة النبي صلى اللّه عليه وسلم التي خلعها عليه في المنام .

❁ ❁ ❁

فضل الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم

يقول العارف بالله عبد الواحد بن زيد رضي اللّه عنه ذهبت لأحج بيت اللّه الحرام ذات عامٍ وكان معي رجلٌ كلما انتقلنا في مكان سمعته يصلي على النبي ﷺ، فسألته ماسر صلاتك على النبي ﷺ كلما ارتحلنا أو حللنا ؟

فقال لي يا عبد الواحد إن لهذه الصلوات سراً .

قلت له أخبرني عن السر يرحمك الله ؟

فقال لي في العام الماضي خرجت مع أبي حاجاً بيت الله الحرام فمات أبي في الطريق وكان وجههُ أبيض فلما خرجت روحه اسود وجهه فنمت حزيناً تلك الليلة وقلت في نفسي لماذا تغير وجهه إلى سواد وكنت نائماً بجانب الجثمان حزيناً مهموماً فرأيت في المنام رجلا أبيض الوجه ما رأت عيناي أجمل منهُ وقال لي يا عبد الله ألست تدري من أنا ؟ أنا محمد رسول الله إذا استيقظت من نومك فاكشف الغطاء عن وجه أبيك فإنه كان بينه بين الله ذنوب ولكنه كان كثير الصلاة والسلام علي فشفعت صلاته وسلامه علي له عند الله تعالى.

فاستيقظت من نومي وكشفت الغطاء عن وجه أبي وإذا بوجهه كأنهُ قطعة قمر .

﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾

بينما كان المنصور جالساً في مجلسه المشرف على دجلة المبني على أعالي باب خراسان جاءه سهم عاثر (مجهول راميه) سقط بين يديه فذعر منه، ثم أخذه وجعل يقلبه بين يديه فإذا مكتوب عليه بين الريشتين :

أتطمع في الحياة إلى التنادي
وتحسب أن مالك من نفاذ

ستسأل عن ذنوبك والخطايا
وتسأل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الأولى :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها

وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الأخرى :

هي المقادير تجري في أعنتها

فاصبر فليس لها صبر على حال

يوماً تريك خسيس القوم ترفعه

إلى السماء ويوماً تخفض العالي

وإذا على جانب السهم مكتوب : همدان منها رجل مظلوم في حبسك .

فبعث من فوره رجل من خاصته ففتشوا الحبوس فوجدوا شيخاً موثقاً بالحديد متوجهاً نحو القبلة، يردد قوله تعالى : ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾ .

فسألوه عن بلده، فقال : همدان .

فحُمل الرجل ووضع بين يدي المنصور، فسأله عن حاله فأخبره أنه رجل من أبناء مدينة همدان ومن أرباب نعمها ثم قال :

إن واليك علينا دخل بلدنا ولي ضيعة تساوي ألف ألف درهم فأراد أخذها مني، فامتنعت، فكبلني بالحديد وحملني إليك وكتب أني عاصٍ، فطُرحت في هذا المكان .

فقال المنصور : مُذْ كَمْ ؟ قال : منذ أربعة أعوام .

فأمر بفك الحديد عنه والإحسان إليه وإنزاله أحسن منزل ثم قال له : يا شيخ، قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا. وأما مدينتك همدان فقد ولیناك عليها وأما الوالي فقد حكمناك فيه. وجعلنا أمره إليك فقال :

يا أمير المؤمنين جزاك اللّه خيراً وأبقاك ذخراً أما الضيعة فقد قبلتها أما الولاية فلا أصلح لها وأما واليك فقد عفوت عنه .

فأمر له المنصور بمال جزيل وبر واسع وحمله إلى بلده مكرماً، وعاقب الوالي بعد أن عزله جزاء انحرافه عن العدل والحق .

وصايا العارفين

قيل لسلطان الزاهدين ابراهيم بن أدهم رضي اللّه عنه أوصنا بما ينفعنا فقال رضي اللّه عنه:

١ – إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا بأمر الآخرة .

٢ – وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم .

٣ – وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين فاشتغلوا بعمارة القبور .

٤ – وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة رب العالمين .

٥ – وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم .

٦ – واتخذوا من هذه الدنيا زاداً يوصلكم إلى الآخرة فإنما الدنيا مزرعة الآخرة، وللّه در القائل :

إن للّه عباداً فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحي سكنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سُفنا

محاورة شعرية

إن الإمام الشافعي رضي اللّه عنه التقى بالإمام أحمد بن حنبل رضي اللّه عنه ذات يوم فقال الإمام الشافعي :

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي
وإن كنا سوياً في البضاعة

فرد عليه الإمام أحمد بن حنبل رضي اللّه عنه قائلاً :

تحب الصالحين وأنت منهم
ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من تجارته المعاصي
وقاك اللّه من شر البضاعة

❁ ❁ ❁

الدعوة بين القول والعمل

قال الإمام السري السقطي رضي اللّه عنه لتلميذه أبي القاسم الجنيد رضي اللّه عنه يا جنيد إذهب إلى المسجد وعظ الناس فقال الجنيد يا أستاذي إنني أستطيع الوعظ ولكني أخشى ثلاث آيات في كتاب اللّه فقال له الأستاذ وما هي ؟

فقال له التلميذ أولها قول اللّه تعالى ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾. وأما الآية الثانية فقول اللّه تعالى ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾ وأما الآية الثالثة فقول اللّه تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**

كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ وسكت الشيخ وانصرف التلميذ إلى مضجعه ونام فرأى في المنام الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له يا جنيد لم لا تعظ الناس اذهب إلى المسجد وعظ الناس فقام الجنيد إلى أستاذه مسروراً وكان هناك اتصال القلوب بين هذا وذاك فقال له أستاذه عجبت لك يا جنيد ألا تعظ الناس إلا بإذن من رسول الله فذهب الجنيد إلى المسجد وأذيع في الناس أنه سيعظ اليوم واجتمع الناس ودخل من بينهم رجل مشرك ارتدى ثوب العلماء ودخل المسجد ليحرج الجنيد في سؤال فقال له يا جنيد أريد أن تشرح لي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **﴿اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله﴾** واستمع الناس كيف يجيب الجنيد على هذا السؤال ولم يكن أحد يعلم أن القائل كافر مشرك ولكن الله تعالى علم الجنيد من لدنه علماً فأجاب الجنيد رداً على سؤال السائل يا هذا شرح هذا الحديث أنك كافر واشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأسلم المشرك .

ثماني مسائل

روي عن حاتم الأصم تلميذ شفيق البلخي رضي الله عنهما أن شفيق قال : يا حاتم، منذُ كم صحبتني ؟

قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة .

قال : فما تعلمت مني في هذه المدة ؟

قال : ثماني مسائل .

قال شفيق : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلاّ ثماني مسائل .

قال : يا أستاذ لم أتعلم غيرها ولا أحب أن أكذب .

فقال : هات هذه الثماني ، فقال :

أولاً – نظرت إلى هؤلاء الخلق فرأيت كلَّ واحد يحب محبوباً، فهو مع محبوبه، فإذا

وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي .

ثانياً – نظرت في قول اللّه عز وجل :

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ .

فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق، فأجهدت نفسي في رفع الهوى حتى استقرت على طاعة اللّه سبحانه وتعالى .

ثالثاً – نظرت إلى هؤلاء الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه. ثم نظرت إلى قوله اللّه عز وجل :

﴿ما عندكم ينفد وما عند اللّه باق﴾

فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى اللّه ليبقى عنده محفوظاً .

رابعاً – نظرت إلى هؤلاء الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قوله سبحانه وتعالى : **﴿إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم﴾** فعملت في التقوى حتى أكون عند اللّه كريماً .

خامساً – نظرت إلى هؤلاء الخلق وهم يطعن في بعضهم البعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصلّ هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول اللّه عز وجل :

﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾

سادساً – نظرت إلى هؤلاء الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول اللّه عز وجل :

﴿إنّ الشيطان لكم عدو﴾

فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه وتركت عداوة الخلق غيره .

سابعاً – نظرت إلى هؤلاء الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل لها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله سبحانه وتعالى :

﴿وما من دابة في الأرض إلاّ على اللّه رزقها﴾

فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على اللّه رزقها فاشتغلت بما للّه تعالى علي وتركت مالي عنده .

ثامناً – نظرت إلى هؤلاء الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق. هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق مثله فرجعت إلى قول اللّه سبحانه وتعالى :

﴿ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه﴾ فتوكلت عليه فهو حسبي .

قال شفيق :

يا حاتم وفقك اللّه فإني نظرت في علم التوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم. فوجدت أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة.

ظننتك ساهراً

دخلت امرأة عجوز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا ماشيتها بينما كانت نائمة .

فقال لها السلطان : كان عليك أن تسهري على مواشيك ولا تنامي .

فأجابت العجوز : ظننتك ساهراً علينا يا مولاي فنمت مطمئنة البال .

أبو حنيفة يرد على الملحدين

حدث أيام تلمذة أبي حنيفة إذ كان يأخذ عن شيخه الأستاذ حماد وبينما كان أبو حنيفة

نائماً إذ رأى في منامه رؤيا مبهمة : رأى خنزيراً يريد أن ينحت من ساق شجرة فمال غصن صغير ضرب الخنزير ضربة موجعة فابتعد صارخاً، ثم انقلب في الرؤيا إنساناً جلس في ظل هذه الشجرة يعبد اللّه فذهب أبو حنيفة رضي اللّه عنه إلى شيخه ليفسرها له فوجده مغتماً فسأله عن سبب غمه فقال جاء أشخاص ملحدون (يعتقدون أن الكون مخلوق بالطبيعة وليس له رب) إلى ملك هذه البلاد وقالوا له أرسل أحد علماء الإسلام ليوضح لنا أن للكون إلهاً فأحضرني الملك إليهم واتفقنا على مكان وزمن نجتمع فيه لذلك ونحن يابني سنجادل في إثبات ذات لا تراها العيون ولا تلمسها الأيدي لهذا أخشى الفتنة على الناس فقال أبو حنيفة رضي اللّه عنه الان عرفت تفسير رؤياي فالخنزير رأس الملحدين يريد أن ينحت ساق شجرة العلم وهو أنت فمال غصن صغير (تلميذك) وضرب الخنزير بحجته فأسلم وتتلمذ عليك فدعني أنا أجادلهم فإن غلبتهم فما بالك بالأستاذ ؟

وإن غلبوني فأنا التليمذ الصغير ولو جادلهم الشيخ لغلبهم فقال على بركة اللّه فذهب التلميذ أبو حنيفة رضي اللّه عنه وقال للناس أن الشيخ أكبر من أن يأتي لمثل هذه المسائل الواضحة ولهذا اختار أصغر تلاميذه وهو أنا لمجادلتكم وستجدون بعون اللّه إجابة أسئلتكم واضحة فوجهوا إليه عديداً من الأسئلة أذكر منها الآتي :

السؤال الأول :

س : في أي سنة ولد ربك ؟

جـ : اللّه لم يولد وإلا كان له أبوان وكتاب اللّه يقول ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾

س : في أي سنة وجد ربك ؟

جـ : اللّه موجود قبل الأزمنة والدهور (لا أول لوجوده)

س : نريد ضرب أمثلة من الواقع المحض لتوضح لنا الإجابة :

جـ : ماذا قبل الأربعة في الأرقام الحسابية ؟

قالوا : ثلاثة .

قال : وماذا قبل الثلاثة ؟

قالوا : اثنان .

قال : وماذا قبل الاثنين ؟

قالوا : واحد .

قال : وماذا قبل الواحد ؟

قالوا : لا شيء قبله .

فقال لهم : إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فما بالكم بالواحد الحقيقي وهو اللّه تعالى (إنه قديم لا أول لوجوده)

السؤال الثاني :

س : في أي جهة يتجه وجه ربك ؟

جـ : لو أحضرنا مصباح في مكان مظلم في أي جهة يتجه نوره ؟

قالوا : في جميع الجهات .

قال : إذا كان هذا حال النور الصناعي فما بالكم بنور السموات والأرض .

السؤال الثالث :

س : عرفنا شيئاً عن ذات ربك أهي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء أم غازية كالدخان والبخار ؟

جـ : هلا جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الأخير (الموت) ؟

قالوا : جلسنا !

قال : كان يكلمكم فصار بعد الموت ساكتاً. وكان يتحرك فصار ساكناً فما الذي غير حاله ؟

obeikandi.com

قالوا : خروج روحه .

قال : أخرجت وأنتم موجودون معه ؟

قالوا : نعم .

قال : صفوا لي هذه الروح أهي صلبة كالحديد ؟ أم سائلة كالماء ؟ أم غازية كالدخان والبخار ؟

قالوا : لا نعرف شيئاً عنها .

قال : الروح – وهي مخلوقة – لا يمكنكم الوصول إلى كنهها أفتريدون مني أن أصف لكم الذات الالهية إن ذاك لعجيب .

السؤال الرابع :

س : في أي مكان ربك موجود ؟

جـ : لو أحضرنا كوباً مملوءاً بلبن محلوب الآن فهل في هذا اللبن سمن ؟

قالوا : نعم .

قال : وأين يوجد السمن في اللبن ؟

قالوا : ليس له مكان خاص بل هو شائع في كل جزيئات اللبن .

قال : إذا كان الشيء المخلوق وهو السمن ليس له مكان خاص أفتطلبون أن يكون للذات الالهية مكان دون مكان. إن ذلك لعجيب .

السؤال الخامس :

س : إذا كانت كل الأمور مقدرة من قبل أن يخلق الكون فما صناعة ربك الآن ؟

جـ : أمور يبديها – يظهرها – ولا يبتديها : يرفع أقواماً ويخفض آخرين .

obeikandl.com

السؤال السادس :

إذا كان لدخول الجنة أول فكيف لا يكون لها آخر ونهاية ؟ (بل إن أهلها خالدون فيها)

جـ : الأرقام الحسابية لها أول وليس لها نهاية .

السؤال السابع :

س : كيف نأكل في الجنة ولا نتبول فيها ولا نتغوط ؟

جـ : أنا وأنت وكل مخلوق مكّث في بطن أمه تسعة أشهر يتغذى من دماء أمه ولا يتبول ولا يتغوط فمن حيوان منوي لا يُرى إلا بالمجهر إلى شخص يملأ يد القابلة (الداية) أو الطبيبة .

السؤال الثامن :

س : كيف يتأتى أن تزاد خيرات الجنة بالانفاق منها ولا يمكن أن تنفذ ؟

جـ : خلق اللّه شيئاً في الدنيا يزداد بالنفقة منه وهو العلم فكلما أنفقت منه زاد ولم ينقص.

الأسئلة التاسع والعاشر والحادي عشر :

س : أرني ربك ما دام موجوداً.. والشيطان مخلوق من النار سيعذب بالنار فكيف تعذب النار بالنار ؟ والشر والخير مقدران على الإنسان فلم الثواب ولم العقاب ؟

جـ : إن الإجابة على أسئلتكم الثلاثة تحتاج إلى وسائل إيضاح .

فقالوا : هات ما شئت فمال وأحضر طوبة من الأرض وهوى بها على رأس زعيمهم بضربة مؤلمة. فحضر الوزير مسرعاً مستنكراً ما حدث فقال إن ضربه وسيلة لتوضيح الاجابة عن أسئلته فقالوا وكيف ؟ فقال هل أحدثت هذه الضربة ألماً ؟

فقال الملحد نعم فقال : وأين يوجد الألم ؟ قال في الجرح فقال أبو حنيفة أظهر لي الألم الموجود في الجرح فأظهر لك الرب الموجود في الكون والطوبة من طين وأنت مخلوق من

طين فكيف عذب الطين الطين. وضربك مقدر فلم استغثت ليلحقوا بي العقاب .

عند ذلك أسلم رئيس الملحدين وأحجم زملاؤه فقال التلميذ أبو حنيفة رضي الله عنه شعراً :

فيا لك من آيات حق لو اهتـــــدى
بهـن مريـد الحـق كـن هواديـــــا
ولكن على تلك القلوب أكنـــة
فليست – وإن أصغت – تجيب المناديا

موت القلب

حكي عن شقيق البلخي رحمهُ الله تعالى أنه قال : كان إبراهيم بن أدهم يمشي في البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا :

ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ وإن الله تعالى قال :

﴿إدعوني أستجب لكم﴾

فقال : يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء فكيف يستجاب لكم ؟

١ – عرفتم الله ولم تؤدوا حقهُ .

٢ – قرأتم القرآن ولم تعملوا به .

٣ – ادعيتم حب الرسول وتركتم سنته .

٤ – ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه .

٥ – ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها .

obeikandl.com

٦ – ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم .

٧ – قلتم الموت حق ولم تستعدوا له .

٨ – اشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم .

٩ – ودفنتم الأموات ولم تعتبروا .

١٠ – أكلتم نعمة اللّه ولم تشكروه عليها .

ثلاثة مفيدات

إن الإمام الشافعي رضي اللّه عنه زار الإمام أحمد بن حنبل ذات يوم في داره وبعدما تناولا طعام العشاء سوية نام الإمام الشافعي في غرفته وفي الصباح قالت بنت الإمام أحمد لأبيها يا أبتاه أهذا هو الشافعي الذي كنت تحدثني عنه قال لها نعم يا ابنتي قالت له لقد لاحظت عليه ثلاثة أمور أنه عندما قدمنا له الطعام أكل كثيراً وعندما دخل الغرفة لم يقم ليصلي قيام الليل وعندما صلى بنا الفجر صلى من غير أن يتوضأ وإذا بالإمام أحمد يواجه الإمام الشافعي بالملاحظات الثلاثة وإذا بالشافعي يرد على الإمام أحمد فيقول له يا أحمد لقد أكلت كثيراً لأنني أعلم أن طعامك من حلال وأنك كريم وطعام الكريم دواء وطعام البخيل داء وما أكلت لأشبع وإنما أكلت لأتداوى بطعامك يا أحمد، وأما انني لم أقم الليل فلأنني عندما وضعت رأسي لأنام نظرت كأن أمامي الكتاب والسنة ففتح اللّه علي باثنين وسبعين مسألة من علوم الفقه الإسلامي أردت أن أنفع بها المسلمين فلم يكن هناك فرصة لقيام الليل، وأما أنني صليت بكم الفجر بغير وضوء فواللّه ما نامت عيني حتى أجدد الوضوء لقد بقيت طوال الليل يقظاناً فصليتْ بكم الفجر بوضوء العشاء .

أخلاق المسلمين

كان لعبد اللّه بن المبارك رضي اللّه عنه جار يهودي فأراد أن يبيع داره فقيل له بكم تبيع ؟ قال بألفين فقيل له أن الدار لا تساوي إلا ألفاً قال صدقتم ولكن ألف للدار وألف لجوار عبد اللّه فأخبر ابن مبارك فدعاه فأعطاه ثمن الدار وقال لا تبعها .

هكذا كنا

أخي المسلم : اقرأ هذه الرسالة وتأمل :

«من جورج الثاني ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير. فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أركانها الأربعة .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات أشراف انكلترا لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص» .

من خادمكم المطيع

جورج الثاني

ملك انجلترا والغال والسويد والنرويج

obeikandl.com

حديث قدسي

يقول اللّه سبحانه وتعالى في حديث قدسي :

«يا ابن آدم، من أصبح حزيناً على الدنيا لم يزدد من اللّه إلاّ بعداً وفي الدنيا كداً، وفي الآخرة إلاّ جهداً، وألزم اللّه تعالى قلبه همًا لا ينقطع عنه أبداً، وفقراً لا ينال غنى أبداً وآمالاً تشغله أبداً .

يا ابن آدم، ما من يوم إلاّ رزقك من عندي، وما من ليلة إلاّ وتأتيني الملائكة من عندك بعمل قبيح، تأكل رزقي وتعصيني وأنت تدعوني فأستجيب لك، وخيري إليك نازل وشرّك إليّ واصل، فنعم المولى أنا لك وبئس العبد أنت لي .

تسألني فأعطيك وأستر عليك، وأنا أستحي منك وأنت لا تستحي مني، تنساني وتذكر غيري، وتخاف الناس وتخاف غضبهم وتأمن غضبي» .

سأهز الراية ثلاثاً

رأى النعمان بن مقرن المال الكثير والدنيا العريضة تتزين له حينما جعله سيدنا عمر والياً على كسكر يجمع الزكاة من أهلها وهي شيء كثير .

ويستعيذ النعمان باللّه من هذه الفتنة الملحة. ويكتب إلى سيدنا عمر :

يا أمير المؤمنين :

إن مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر، وإني أنشدك اللّه لما عزلتني عن كسكر وبعثتني في جيش من جيوش المسلمين .

فكتب إليه عمر : أن يسير إلى نهاوند وأن يكون أميراً لجيشها .

فقال لجنده : إني سأهز الراية ثلاثاً .

أما الأولى فليقض الرجل حاجته .

وأما الثانية : فلينظر الرجل شسع نعله وسلاحه .

فإذا حملت الراية وهززت الثالثة فاحملوا، ولا يلوين أحد على أحد وإن قتل المتصدر منكم، وإني داع بدعوة فأقسمت على كل امرىء منكم أن يؤمن عليها :

«اللهم ارزق النعمان شهادة في نصر وفتح على المسلمين»

وتكهرب المعسكر بهذه الدعوة. وكان النعمان أول شهيد في المعركة .

وفتح الله على المسلمين ونصرهم في ذلك اليوم نصراً مؤزراً. وقد هتف النعمان بالشهادة وهو لا يعلم أنها على خطوات منه ولكنه الدعاء يحضر والإجابة معه .

قسمة مباركة

قال الصحابي الجليل أبو قلابة رضي الله عنه بينما أنا سائر ذات يوم إذ رأيت سحابة في السماء وسمعت صوتاً يسوقها ويقول لها صبي ماءك في حقل فلان فتتبعت السحابة حتى أتت حقل فلان وصبت ماءها كله في ذلك الحقل وبعدما انتهت السحابة من صب الماء سألت صاحب الحقل وقلت له ماذا تفعل ؟

فقال يا أخي إنني عندما يرزقني الله بالثمار أقسم الثمار إلى ثلاثة أقسام قسم للفقراء والمساكين وقسم لي ولأهل بيتي وقسم أزرعه ليعود كما كان .

مع أولياء الله

إن أحد أولياء الله الصالحين وهو أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه كان نائماً ذات ليلة

وإذا به يسمع من ينادي عليه في المنام يا أبا يزيد إن الليلة عيد النصارى فاذهب إليهم في ديرهم وبلغهم رسالة نبيك محمد فقام أبو يزيد من نومه ليلبيّ هذا الهاتف وذهب إلى دير من أديرة النصارى ولما جلس بينهم ظن أنهم لن يعرفوه وإذا بقسيسهم ينظر ويقول لن أتكلم حتى يخرج هذا الرجل المحمديّ من بيننا وأشار إلى أبي يزيد فقالوا له وما أدراك أنه محمدي؟

قال القسيس لأتباعه لأن أصحاب محمد سيماهم في وجوههم من أثر السجود. فقالوا لأبي يزيد أخرج من ديرنا فقال أبو يزيد لهم ما أنا بخارج حتى يحكم اللّه بيني وبينكم وهو خير الحاكمين فقال له أبوهم القسيس إني سائلك أسئلة إن أجبتنا عنها كلها آمنا بأن اللّه واحد وأن محمداً رسول اللّه وإذا عجزت عن الاجابة عن سؤال واحد فليس بيننا وبينك إلا ضرب عنقك .

فقال له العارف باللّه أبو يزيد رضي اللّه عنه سل ما شئت فإن اللّه تعالى يقول ﴿**واتقوا اللّه ويعلمكم اللّه واللّه بكل شيءٍ عليم**﴾ .

فوقف القسيس يسأل وجلس أبو يزيد يسمع فقال له القسيس من هو الواحد الذي لا ثاني له ؟

وما هما الاثنان اللذان لا ثالث لهما ؟

وما هي الثلاثة التي لا رابع لها ؟

وما هي الخامسة التي لا سادس لها ؟

وما هي السادسة التي لا سابع لها ؟

وماهي السابعة التي لا ثامن لها ؟

وما هي الثامنة التي لا تاسع لها ؟

وما هي المعجزات التسعة ؟

وما هي العشرة القابلة للزيادة ؟

ومن هم الأحد عشر ؟

وما هي المعجزة المكونة من اثنى عشر شيئاً ؟

وما هو القبر الذي سار بصاحبه ؟

وما هو الشيء الذي تنفس ولا روح فيه ؟

وما هو الشيء الذي خلقه اللّه وانكره ؟

ومن هم الذين صدقوا ودخلوا النار ؟

ومن هم الذين كذبوا ودخلوا الجنة ؟

وما هي الأشياء التي خلقها اللّه وليس لها أب ولا أم ؟

وما هي الشجرة التي تشتمل على ثلاثين ورقة في كل ورقة خمس ثمرات ثلاثةٌ منها في الظل واثنتان منها في الشمس ؟

أجب على هذه الأسئلة يا أبا يزيد ؟

فوقف أبو يزيد البسطامي رضي اللّه عنه مستعيناً باللّه تعالى بمن يقول للشيء كن فيكون وقال :

أما الواحد الذي لا ثاني له فقل هو اللّه أحد .

وأما الاثنان اللذان لا ثالث لهما. وجعلنا الليل والنهار آيتين .

وأما الثلاثة التي لا رابع لها فأعذار موسى مع الخضر وهي غرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار وبعدها قال له هذا فراق بيني وبينك .

وأما الأربعة التي لا خامس لها فهي التوراة والزبور والانجيل والقرآن المنزل على خاتم الأنبيا ء .

obeikandl.com

وأما الخمسة التي لا سادس لها فهي خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد في اليوم والليلة .

وأما الستة التي لا سابع لها فهي الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾ فقال له القسيس لماذا ختم الله الآية بقوله ومامسنا من لغوب أي من تعب .

فقال له أبو يزيد لأن اليهود زعمت أن الله تعالى لما خلق السموات والأرض في ستة أيام تعب فاستراح يوم السبت فقال لهم الله وما مسنا من لغوب أي ما مسنا تعب حتى نستريح إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

وأما السبعة التي لا ثامن لها ﴿**الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾ .

وأما الثمانية التي لا تاسع لها فهم حملة عرش الرحمن يوم القيامة ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ .

أما المعجزات التسع فهي معجزات موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهي اليد، والعصا، والطمس والسنون، والطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والدم . آيات مفصلات .

وأما العشرة التي تقبل الزيادة ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء**﴾ .

وأما الأحد عشر فهم أخوة يوسف عليه السلام ﴿**إني رأيت أحد عشر كوكبا**﴾ .

وأما المعجزة المكونة من إثني عشر أمراً فاقرأ قوله تعالى ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً**﴾ .

وأما الثلاثة عشر فهم أخوة يوسف وأبوه وأمه اقرأ قوله تعالى ﴿**إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾ .

وأما الشيء الذي تنفس ولا روح فيه فاقرأ قوله تعالى : ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾ أي إذا أضاء .

وأما القبر الذي سار بصاحبه فاقرأ قوله تعالى ﴿**فالتقمه الحوت وهو مُليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ .

وأما الذين صدقوا ودخلوا النار فهم اليهود والنصارى .

قال له صدقوا في أي شيء ؟ قال له اقرأ قوله تعالى ﴿**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**﴾ صدقوا في هذا وهم من أهل النار. قال تعالى ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ .

وأما الشيء الذي خلقهُ اللّه وأنكره فاقرأ قوله تعالى : ﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾ .

وأما الذين كذبوا ودخلوا الجنة فهم أخوة يوسف عليه السلام ﴿**إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكلهُ الذئب**﴾ .

ولم يأكله الذئب، وبعد ذلك قال لهم يوسف عليه السلام ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم وهو أرحم الراحمين**﴾ .

وقال لهم يعقوب عليه السلام ﴿**سوف أستغفر لكم ربي إنهُ هو الغفور الرحيم**﴾ .

وأما الأشياء التي خلقها اللّه وليست لها أب ولا أم فهي الملائكة أجسام نورانية لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتزوج ولا تتناسل تسبيحهم بالليل والنهار كالتنفس عندنا .

وآدم عليه السلام ليس له أب ولا أم ﴿**إن مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ .

وكبش اسماعيل عليه السلام وناقة صالح عليه السلام .

وأما الشجرة المكونة من اثني عشر غصناً في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس

ثمرات ثلاث منها في الظل واثنتان منها في الشمس فإن هذه الشجره هي السنة فيها اثنا عشر غصناً أي اثنا عشر شهراً في كل غصن ثلاثون ورقة في كل شهر ثلاثون يوماً في كل ورقة خمس ثمرات في كل يوم خمس صلوات ثلاثةٌ منها في الظل المغرب والعشاء والفجر واثنان منها في الشمس الظهر والعصر .

وعندئذ قال أبو يزيد رضي الله عنه للقسيس إني سائلك سؤالاً واحداً فأجبني عنه ؟ قال القسيس وما هو السؤال يا محمدي ؟

قال له أبو يزيد ما هو مفتاح الجنة ؟

فوقف القسيس واجماً جامداً فقال له أتباعه من النصارى يا أبانا سألتهُ كل هذه الأسئلة فأجابك عنها ويسألك سؤالاً واحداً فتعجز عن الإجابة عنه .

فقال لهم القسيس يا أبنائي إنني أعرف الاجابة ولكن أخاف منكم فقال له أتباعهُ من النصارى أجب ولا عليك بأس يا أبانا. فوقف القسيس قائلا بأعلى صوته مفتاح الجنة لا إله إلا اللّه محمداً رسول اللّه .

فقام الجميع وقالوا لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه وحولو الدير إلى مسجد يعبد فيه اللّه تبارك وتعالى .

إمام دار الهجرة

إن امرأة من نساء المدينة المنورة ماتت فجيىء لها بالمغسلة لتغسلها ولما وضع الجثمان ليغسل وجاءت المغسلة تصب الماء على جسد الميتة ذكرتها بسوء وقالت كثيراً ما زنى هذا الفرج فالتصقت يد المغسلة بجسم الميتة بحيث أصبحت لا تقوى على تحريك يدها فأغلقت الباب حتى لا يراها أحد وهي على هذه الحال وأهل الميتة خارج الحجرة ينتظرون تكفين الجثة فقالوا لها أنحضر الكفن فقالت لهم مهلاً وكرروا عليها القول فقالت مهلاً وبعد ذلك

دخلت احدى النساء فرأت ما رأت فأخذوا رأي العلماء نقطع يد المغسلة لندفن الميتة لأن دفن الميت أمر واجب وقال بعضهم بل نقطع قطعة من جسد الميتة لنخلص المغسلة لأن الحي أولى من الميت واحتدم الخلاف وكل هذا بسبب كلمة قيلت ولكنها كلمة ثقيلة قال فيها الرسول عليه الصلاة والسلام «قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة» .

أما علماء المدينة المنورة فقد وقفوا حائرين : أيقطعون يد المغسلة أم يقطعون قطعة من جسد الميتة وأخيراً اهتدوا إلى أن يسألوا الإمام مالك بن أنس رضي اللّه عنه وقالوا كيف نختلف وبيننا الإمام مالك فذهبوا إليه وسألوه وإذا بالإمام يأتي على جناح السرعة وبينه وبين المغسلة والميتة باب وسألها من وراء حجاب وقال لها ماذا قلت في حق الميتة ؟

قالت المغسلة يا إمام رميتها بالزنا !

فقال الإمام مالك رضي اللّه عنه تدخل بعض النسوة على المغسلة وتجلدها ثمانين جلدة مصداقاً لقول اللّه تعالى ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**﴾ فدخلت النساء وجلدن المرأة المغسلة القاذفة وبعد تمام الجلدة الثمانين رفعت يدها عن جسد الميتة ومن هنا قيل لا يفتى ومالك في المدينة !

حديث جريج

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلّي فقالت : يا جريج، فقال؛ يا رب ! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت .

فلمّا كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج، فقال : يا رب ! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت .

فلمّا كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج، فقال : أي رب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته .

فقالت : اللّهم لا تمته حتى ينظر وجوه المومسات ! فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغيّ يُتمَثَّلُ بحُسنها فقالت : إن شئتم لأفتننّه لكم، قال، فتعرضت له، فلم يتلفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت : هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغّي فولدت منك، فقال : أين الصبي ؟ فجاؤوا به، فقال : دعوني حتى أصلي، فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال : يا غلام، من أبوك ؟ قال : فلان – الراعي –

قال : فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا : نبني لك صومعتك من ذهب وفضة، قال : لا، أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا .

مشهد من أحد

إن أحد الذين أستشهدوا يوم أُحد هو عبد اللّه بن عمر أبو جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما لما قال النبي ﷺ لجابر يا جابر الا أبشرك ؟ قال يا رسول اللّه مثلك لا يبشر إلا بخير قال له النبي ﷺ يا جابر بن عبد اللّه إن اللّه تعالى لم يكلم أحداً إلا من وراء حجاب ولكنه كلم أباك بدون حجاب فقال له مولانا عز وجل يا عبد اللّه تمنّ علي أعطك ما تشاء ؟ قال عبد اللّه رضي اللّه عنه يا رب أتمنى أن أعود إلى الدنيا لأخبر أصحابي بما أنا فيه من النعيم المُقيم ثم أقتل فيك مرة أخرى فقال له مولانا عز وجل يا عبد اللّه لقد سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون .

فقال عبد اللّه رضي اللّه عنه يا رب فمن يخبر أصحابي بما أنا فيه من النعيم المقيم. فقال له مولانا أنا أخبرهم يا عبد اللّه .

العزة بالإسلام

إن العارف باللّه الفضيل بن عياض رحمة اللّه تعالى عليه كان يعمل قبل توبته سارقاً وقاطع طريق فنزل ذات ليلةٍ ليسرق بيتاً وبينما هو ينزل على درج السلم في الليل إذا به يسمع صوتاً من قبَل صاحب البيت وهو يقرأ ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّه وما نزل من الحق**﴾ فأصغى إلى قراءته واخذت الآية طريقها إلى أذنه واخترقت الأذن إلى باب القلب وإذا بالفضيل تتسمر قدمه على السلم ويتوجه إلى اللّه تعالى ويقول يا رب أشهدك أنهُ قد آن الأوان ليخشع قلبي لذكرك .

هذا الذي كان يعمل سارقاً جاء عليه اليوم الذي أصبح فيه من أوائل العارفين باللّه وفي ذات يومٍ نادت عليه أمهُ وقالت له يا فضيل فرد عليها بصوت مرتفع وقال لها نعم يا أماه وبعد أن خلا بنفسه قال كيف ترفع صوتك على أمك فاعتبر هذا ذنباً كفَّر عنه بعتق رقبة .

✿ ✿ ✿

أوذي فكظم وعفى وأعتق

كان لسيدنا علي بن الحسين الملقب بزين العابدين جارية وقد قامت مرة تصب له الماء في وضوئه ليتهيأ للصلاة فوقع الأبريق من يدها على وجهه فشجه فما أن رفع بصره لها حتى قالت إن اللّه عزو جل يقول ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾ قال لها كظمت غيظي فقالت ﴿**والعافين عن الناس**﴾ فقال لها عفوت عنك فقالت ﴿**واللّه يحب المحسنين**﴾ فقال لها اذهبي فأنت حرة .

✿ ✿ ✿

نصيحة

في أحد الأيام بلغ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي اللّه عنه أن إبنه لبس خاتماً بألف

درهم فأرسل إليه وقال له يا عاصم إذا وصلك خطابي هذا فبع الخاتم الذي في أصبعك وتصدق به على ألف فقير واشتر خاتماً من حديد واكتب عليه رحم اللّه امرءاً عرف قدر نفسه .

إمامة راشدة

عندما انتهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ذات يوم من صلاة العصر وكان يؤم المسلين سأل عن أحد الصحابة الذي لم يحضر الصلاة فقيل أنه مريض يا أمير المؤمنين فذهب إلى بيته وطرق الباب وإذا بالصحابي يقول من الطارق ؟

فقال له أنا عمر بن الخطاب فأخذ يجري الصحابي ليفتح الباب لأمير المؤمنين وعندما وقعت عينا أمير المؤمنين على وجه الصحابي قال له ما الذي خلفك عن الصلاة معنا أينادي عليك اللّه من فوق سبع سموات حي على الصلاة فلا تجيبه وينادي عليك عمر بن الخطاب فتجيبه .

حكمة اللّه

إن رجلاً كان يجلس مع زوجته ذات يوم يأكلان الطعام وإذا بالباب يطرق وإذا بالطارق مسكين وكان أمام الرجل دجاجة فقالت له زوجته ألا أتصدق بها على هذا المسكين فقال لها لا بل اذهبي واطرديه عن الباب ومرت الأيام وأصيب الرجل بالفقر فطلق زوجته وبعدما طلقها تزوجت برجل آخر وجلست مع زوجها الثاني يأكلان الطعام وكان أمامهما دجاجة فطرق الباب طارق مسكين فقال لها الرجل خذي هذه الدجاجة وتصدقي بها على هذا المسكين فأخذتها وأعطتها للمسكين ورجعت المرأة تبكي إلى زوجها فقال لها زوجها لماذا

تبكين ؟ أتبكين لأننا تصدقنا بدجاجة فقالت له لا، إنني أبكي لشيء عجيب أتدري من هذا السائل إنهُ زوجي الأول فقال لها أتعلمين من أنا وأنا السائل الأول .

ثلاثة بثلاثة

قال العبد الصالح الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام يا كليم اللّه عجبت لك لمتني على أنني خرقت السفينة خوفاً أن يغرق أهلها أنسيت الذي حفظك من الغرق يوم ألقتك أمك في الماء ؟

يا كليم اللّه لمتني على أنني قتلت غلاماً بغير نفس أنسيت يوم قتلت رجلاً من آل فرعون وقلت ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر لك .

يا كليم اللّه لمتني على أنني أقمت الجدار بدون أجر أنسيت يوم سقيت الغنم لبنتي شعيب بدون أجر هذه ثلاثة بثلاثة .

سماحة وأخلاق

بينما الرسول عليه الصلاة والسلام جالساً بين أصحابه ذات يوم وإذا برجل من أحبار اليهود يسمى زيد بن سعنة وهذا الرجل من علماء اليهود فدخل على الرسول عليه الصلاة والسلام واخترق صفوف أصحابه حتى أتى النبي صلى اللّه عليه وسلم وجذبه من مجامع ثوبه وشده شداً عنيفاً وقال له بغلظة أدٌ ما عليك من الدين يا محمد إنكم بني هاشم قوم تماطلون في أداء الديون .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد استدان من هذا اليهودي بعض الدراهم ولكن لم يحن موعد أداء الدين بعد فقام عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وهز سيفه وقال إئذن لي

بضرب عنقه يا رسول اللّه ؟

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ما لهذا دعوناك لقد كنت أنا وهو في حاجة منك إلى غير ذلك مرهُ بحسن الطلب ومرني بحسن الأداء .

فقال اليهودي والذي بعثك بالحق يا محمد ما جئت لأطلب منك ديناً إنما جئت لأختبر أخلاقك فأنا أعلم أن موعد الدين لم يحل بعد ولكني قرأت جميع أوصافك في التوراة فرأيتها كلها متحققة فيك إلا صفة واحدة لم أجربها معك وهي أنك حليم عند الغضب وان شدة الجهالة لا تزيدك إلا حلماً ولقد رأيتها اليوم فيك فأشهد أن لا اله إلا اللّه وأنك يا محمد رسول اللّه أما الدين الذي عندك فقد جعلته صدقة على فقراء المسلمين .

عمر والكرامة

صعد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه المنبر ذات يوم وكان يوم جمعة فخطب بالمسلمين وكان هناك جيش يحارب في بلاد فارس بقيادة سارية بن حصن رضي اللّه عنه وإذا بعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يقطع الخطبة فجأة وينادي بأعلى صوته يا ساريةُ الجبل الجبل وعاد بعد ذلك يواصل خطبتهُ وبعد أن صلى عمر رضي اللّه عنه صلاة الجمعة بالمسلمين التقى به علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وقال له يا أمير المؤمنين ماذا كانت تقول لقد سمعناك تنادي على سارية وأنت تعلم أن سارية هناك في بلاد الفرس فقال له عمر رضي اللّه عنه يا علي لقد رأيت العدو يريد أن يطوق المسلمين فناديت على قائد المسلمين أن يلتزم الجبل فيحميه اللّه من العدو ولما عاد ساريةُ من الميدان إلى المدينة المنورة سأله الصحابة رضي اللّه عنهم عما جرى في الحرب ولم يخبروه بما قال أمير المؤمنين :

فقال لهم ساريةُ رضي اللّه عنه بينما نحن في الميدان إذ حاول العدو أن يلتف حولنا ويطوقنا فسمعت صوتاً كصوت أمير المؤمنين عمر ينادي عليّ ويقول يا سارية الجبل الجبل فلما لزمت الجبل نجاني اللّه ومن معي من المسلمين .

عزة الحق

أرسل سيف الاسلام خالد بن الوليد رضي اللّه عنه رسالة إلى كسرى عظيم الفرس قال له فيها يا كسرى أسلم تسلم وإلا فقد جئتك بقوم يحرصون على الموت كما تحرصون أنتم على الحياة فلما وصلت الرسالة بين يدي كسرى أرسل إلى حاكم الصين يطلب منه المدد والنجدة فردّ عليه حاكم الصين قائلاً يا كسرى لاقبل لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها.

العلم يدعو للإسلام

وقف أستاذ علم الأجنة في جامعة لندن يقول لقد اكتشفت حقيقة علمية عن الأجنة في بطون الأمهات لقد كان علماء الأجنة يعتقدون أن الجنين في بطن أمه يبدأ بمرحلة رخوة ولكني أكتشفت في النصف الثاني من القرن العشرين أن الجنين يبدأ بمرحلة صلبة قبل مرحلة اللحوم فقام له طالب مسلم من باكستان وقال له يا سيادة الأستاذ إن القرآن الكريم سبقك بألف وأربعمائة سنة .

فقال الأستاذ في ذهول أصحيح ما تقول فقال الطالب المسلم نعم تقول أنك اكتشفت أن الجنين في الرحم يبدأ بمرحلة صلبة بعدما كانوا يظنون أنه يبدأ بمرحلة رخوة .

فقال له الأستاذ فماذا أنت قائل ؟

فقال الطالب المسلم أقول أن هذا الكلام الذي تقول أنك اكتشفته اليوم سبقك به الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم .

فقال الاستاذ فاقرأ ؟

فقال الطالب : قال الله تعالى في كتابه الحكيم ﴿**ثم خلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام**

لحماً﴾ فقال له الأستاذ : بيني وبينك لقاء حتى أتأكد من ذلك .

والتقى الأستاذ البريطاني عالم الأجنة بالطالب المسلم الباكستاني وكان الحكم بينهما كتاب اللّه تعالى فأخرج الطالب المسلم المصحف الشريف وقرأ الآية من سورة المؤمنين .

فقال له الأستاذ أعد قراءتها ؟

فأعاد قراءتها وهي قول اللّه تعالى ﴿ثم خلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ .

فقال الأستاذ البريطاني «أشهد أن لا اله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه» وأسلم !

حسرة

بينما كان أحد الصالحين يمشي ذات يوم من الأيام فوجد رجلاً يشوي لحماً في النار فبكى الرجل الصالح فقال له الشوّاء ما يبكيك ؟ هل أنت محتاج للحم فقال الرجل الصالح لا فقال له الشوّاء إذن فما يبكيك فقال الرجل الصالح إنما أبكي على ابن آدم يدخل الحيوان النار ميتاً وابن ادم يدخلها حياً .

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾

جاء رجل إلى الحسن البصري رضي اللّه عنه فقال له إني أخيط الملابس للأمراء الظالمين واللّه سبحانه يقول ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُم النار﴾ فهل أنا من الذين ركن إليهم فقال له لا.. إن الذين يبيعك الخيط والإبرة هو من الذين ركن إليهم أما أنت فمن الظالمين .

علماء مخلصون

إن العالم العارف باللّه سالم بن عبد اللّه رضي اللّه عنه كان يطوف بالبيت الحرام ذات يوم فلقيه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك خليفة الدولة الأموية .

فقال له هشام بن عبد الملك يا سالم تمن علي أعطك ما تشاء ؟

فقال له العالم سالم بن عبد اللّه يا هشام أستحي أن أسال غير اللّه وأنا في بيت اللّه فلما خرجا من المسجد الحرام قال هشام بن عبد الملك للعالم سالم لقد خرجنا من المسجد واستحيت أن تسأل غير اللّه في بيته فسلني ما شئت فنحن الآن خارج المسجد .

فقال له العالم سالم يا هشام أي شيء تريد أن أسالك من شؤون الدنيا أم من شؤون الآخرة ؟

فقال له هشام بل من شؤون الدنيا فأنا لا أملك شيئاً من شؤون الآخرة .

فقال له سالم إذا كنت أستحي أن أسأل الدنيا من اللّه وهو الذي يملكها فكيف أسألها منك وأنت لا تملكها .

يقضي ليهودي على أمير المؤمنين

تخاصم الإمام علي كرّم اللّه وجهه مع يهودي على درع له وجدها مع اليهودي فأتيا شريح بن الحارث الكندي القاضي .

فقال القاضي للإمام علي ما تقول ؟

– قال : هذا الدرع درعي لم أبع ولم أهب .

– فقال القاضي لليهودي ما تقول ؟

– قال : درعي وفي يدي .

– قال : يا أمير المؤمنين هل من بيّنة ؟

– قال : نعم. الحسن ابني وقنبر يشهدان أن الدرع درعي .

– قال شريح : يا أمير المؤمنين، شهادة الابن للأب لا تجوز .

– قال : سبحان الله ! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؟ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» .

فحكم شريح بالدرع لليهودي بعد أن أصرّ على رأيه في شهادة الحسن .

قال اليهودي : أمير المؤمنين يقدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي لي عليه. أشهد أن هذا الدين حق وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله. وأشهد أن هذا الدرع درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك ليلاً .

وحسن إسلام اليهودي وقاتل مع الإمام علي يوم النهروان واستشهد في المعركة .

يا عابد الحرمين

كتب عبد الله بن المبارك من ميدان القتال بطرسوس إلى المتفيء بظلال الكعبة فضيل بن عياض :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي غبار خيل اللّه في
أنف امرىء ودخان نار تلهب

هذا كتاب اللّه ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت – لا يكذب

مخافة اللّه

إن لواء الإسلام عقبة بن نافع رضي اللّه عنه عندما ذهب لفتح شمال افريقيا وأصدر أمره إلى كتيبة من الجيش لتقوم ببناء مدينة القيروان في تونس فذهبت الكتيبة فوجدت المكان الذي ستبنى فيه المدينة وهو عبارة عن أحراش عالية تسكنها الأسود والذئاب والثعابين فرجعوا إلى القائد عقبة وشكوا له ما في المكان من وحوش وثعابين فذهب عقبة بن نافع رضي اللّه عنه إلى ذلك المكان ونادى أيتها الأسود أيتها الذئاب أيتها الثعابين نحن أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اخرجي سالمةً وإلا لا لوم علينا إذا قتلناك ووقف الجيش يعجب لنداء عقبة بن نافع أيخاطب أسوداً أيخاطب ذئاباً أيناشد ثعابين وأفاعي وبعد لحظة خرجت الأسود تحمل أشبالها والذئاب تحمل جراءها والثعابين تحمل أفراخها فقال له أحد الجنود ألا نقتلها أيها القائد ؟

فقال له عقبة لا نقلتها لأننا إن قتلناها نكون قد خنا العهد مع اللّه الواحد الديان فلقد أعطيناها الأمان فكيف ننقض العهود معها .

إن داري ما احترقت

جاء رجل إلى أبي الدرداء رضي اللّه عنه فقال : يا أبا الدرداء أدرك دارك فقد احترقت، فقال ما احترقت لأني سمعت النبي ﷺ يقول : «من قال حين يصبح هذه الكلمات اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء اللّه كان، وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، أعلم أن اللّه على كل شيء قدير، وأن اللّه قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه» وقد قلتها اليوم، ثم قال للجالسين حوله انهضوا بنا، فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء .

تصوير بارع للدنيا

جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ذات يوم وقال له يا أمير المؤمنين لقد اشتريت داراً وأريد أن تكتب لي عقد الشراء بيديك فنظر أمير المؤمنين إلى وجه الرجل فرأى الدنيا قد تربعت على عرش قلبه وأراد أمير المؤمنين أن يلقنهُ درساً يذكرهُ فيه باللّه تعالى فأمسك بالقلم وكتب :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أما بعد :

فقد اشترى ميت من ميت داراً تقع في بلد المذنبين وسكة الغافلين لها أربعة حدود الحد الأول ينتهي إلى الموت، والحد الثاني ينتهي إلى القبر، والحد الثالث ينتهي إلى الحساب، والحد الرابع ينتهي إما إلى الجنة وإما إلى النار .

الجنة بيت المؤمنين

لما ذهب الإمام الجليل محمد عبده إلى قصر الخديوي عباس وجد عنده بطريارك النصارى وأحد حاخامات اليهود .

فقال الخديوي هذا ممثل النصارى وذاك ممثل اليهود وأنت يا إمام ممثل المسلمين فأريد من كل واحد منكم أن يثب لي أنه هو الذي سيدخل الجنة .

فقال بطريارك النصارى ليتكلم الحاخام أولاً فقال الحاخام ليتكلم إمام المسلمين أولا .

فقال الخديوي عباس تكلم يا إمام المسلمين .

فقال الإمام محمد عبده إن كان اليهود سيدخلون الجنة فنحن داخلوها لأننا آمنا بموسى .

وإن كانت النصارى سيدخلون الجنة فنحن داخلوها لأننا آمنا بعيسى فإذا كنا داخليها فلن يدخلها اليهود والنصارى لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ !

محبة الصحابة

ذهب سيدنا عمر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ مرة ليشتكي على علي رضي الله عنه وقال له يا رسول الله إن علياً لا يبدأني السلام إلا إذا بدأته أنا فبعث النبي ﷺ إلى سيدنا علي رضي الله عنه وقال له : يا علي لماذا لا تبدأ عمر بالسلام فقال له علي رضي الله عنه يا رسول الله لأنك تقول من بدأ أخاه بالسلام بنى الله له قصراً في الجنة فأردت أن يبدأني عمر فيأخذ ذلك القصر في الجنة .

أمثال في الصبر

بينما كان الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنه يركب دابته ذات يوم فأتاه آت وقال له عظم الله أجرك يا ابن عباس لقد مات ولدك فنزل ابن عباس رضي الله عنهما عن دابته وصلى لله تعالى ركعتين وبعدما فرغ من الصلاة قال له الرجل عجبت لك يا عبد الله أخبرك بموت ولدك فتستقبل الخبر بالصلاة .

قال : يا هذا أوما قرأت قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾ .

أنا لا أخشى على الجيش من عدوه
وإنما أخشى على الجيش من ذنوبه

أراد كسرى ملك الدولة الفارسية الذي كان يسمى (يزدجرد) أن يحول أمة الإسلام إلى أمة مجوسية تعبد النار لأن أهل فارس كانوا يعبدون النار ولا يعرفون لهم إلهاً إلا النار وكان ذلك على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعلن عمر رضي الله عنه حالة التطوع في صفوف المسلمين فانسالوا على المدينة المنورة وهي عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك فكوّن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً تعداده ثلاثون ألف مسلم وعزم عمر رضي الله عنه أن يقود هذا الجيش بنفسه لكن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه منعه من ذلك وقال له بل استخلف من يقود هذا الجيش يا أمير المؤمنين فوقع اختيار عمر رضي الله عنه على رجل من العشرة المبشرين بالجنة وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فتولى سعد رضي الله عنه قيادة الجيش ليتحرك من المدينة المنورة إلى بلاد فارس التي كانت تضم إيران والعراق ليفتح هذه الجبهة التي استعصت على كبار الفاتحين من قبل فاستعد

الجيش الإسلامي للتحرك إلى جبهة القتال وودعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال في وداعه :

بسم الله وعلى بركة رسول الله يا سعد بن أبي وقاص لا يغرنك أنك خال رسول الله وصاحبه فإن الناس في ذات الله شريفهم ووضيعهم سواء يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة .

يا سعد أوصيك ومن معك بتقوى الله فإننا إذا عصينا الله تساوينا مع عدونا في المعصية وزاد علينا في العدد والعُدد فهزمنا. يا سعد أنا لا أخشى على الجيش من عدوه وإنما أخشى على الجيش من ذنوبه سر على بركة الله يا سعد .

وسار سعد رضي الله عنه مع جيشه وعبر الطريق إلى القادسية والقادسية هي مفتاح باب فارس وما أن وصلت الأخبار إلى كسرى في المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية وكل ملك يجلس على عرشها يسمى كسرى كما أن كل ملك يجلس على امبراطورية الروم كان يسمى قيصراً .

فأصدر كسرى ملك الفرس أمره إلى رستم وهو قائد كبير من قواد الفرس أن يقود المعركة وكان لرستم مكانة في قلوب أهل فارس وأرسل إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عباقرة المسلمين النعمان بن مقرن والمغيرة بن شعبة وعاصم بن عمرو والأشعث بن قيس فكلفهم أن يتوجهوا إلى كسرى للتفاوض معه فذهب الوفد من الصحابة الأجلاء ودخلوا على كسرى في قصره الأبيض الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً في الفن والعمارة والأثاث والترف فقال كسرى ملك الفرس للوفد الإسلامي ما الذي جاء بكم إلينا ؟

فقالوا يا كسرى جئنا لندعوك إلى توحيد الله وعندئذ استشاط كسرى غضباً وقال فإن لم أستجب ؟

قالوا له تدفع الجزية وازداد غضب كسرى وقال لهم فإن لم أفعل قالوا له بيننا وبينك السيف .

فقال لحرسه أخرجوهم مذلولين لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم وقال من أشرفكم ؟ قالوا له لماذا ؟ قال لأنني سأحمله حملاً من التراب على رأسه وإن لم يحمل هذا التراب على رأسه فلأقتلنكم في مكاني هذا قال عاصم بن عمرو رضي اللّه عنه أنا أشرفهم وادعى ذلك ليحمل التراب عن اخوانه فحمل التراب على رأسه وجاء به إلى قائد جيش لواء الإسلام سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه فقال سعد ما نتيجة المفاوضات ؟ فقال له عاصم حامل التراب لقد جئتك بمفاتيح كسرى. فتحرك الجيش الفارسي بقيادة رستم إلى أرض المعركة وعسكر قائده رستم في خيمته الميدانية وأرسل إلى سعد قبل المعركة وقال له أرسل لي رجلاً من عقلاء قومك لأحدثه ويحدثني .

وانتقلت المفاوضات من كسرى إلى رستم انتقلت من الملك إلى قائد الجيش .

فأرسل له سعد رجلاً يسمى (ربعي بن عامر) ودخل ربعي مبعوث سعد إلى خيمة رستم القائد العام للقوات الفارسية فوجد في الخيمة مالم ترى عينه قبل ذلك سجاداً فاخراً وزرابي مبثوثة وأكواباً مصفوفة وسراً مطرزة فدخل مبعوث سعد ومعه رمحه وجلس أمام رستم فقال له رستم ما الذي جاء بكم إلينا ؟ فقال له ربعي إن اللّه تعالى ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة وعندئذ لم يجد رستم في الكلام فائدة مع ربعي فأرسل معه إلى سعد القائد العام للقوات الإسلامية رسالة أخرى يطلب غير هذا الرجل الذي سماه غليظاً جداً فأرسل سعد رضي اللّه عنه إليه المغيرة بن شعبة وكان المغيرة رجلاً من دواهي الإسلام في السياسة وجلس رستم فقال له رستم ما الذي جاء بكم إلينا ؟

قال لنخرجكم من ظلمات الشرك إلى نور لا إله إلاّ اللّه .

فقال له رستم فإن لم نفعل ؟ قال فالجزية قال له فإن لم نفعل ؟ قال له فالسيف على رقابكم فقال له رستم فإن مثلنا ومثلكم كمثل الذباب الذي قال من الذي يوصلني إلى العسل وله درهمان فلما سقط في العسل قال من يخرجني من العسل وله أربعة دراهم اذهب إلى صاحبك وقل له رستم يقول لك ليدفننكم في أرض القادسية جميعاً. وكانت

هذه آخر المفاوضات السلمية وبات جيش المسلمين يعد السلاح لخوض المعركة وكان عدد الأعداء مائة وعشرين ألف جندي وكان عدد المسلمين ثلاثين ألف جندي وكان مع جيش الفرس ثلاثة وثلاثون فيلاً واستعد الجميع للمعركة وأصدر سعد رضي اللّه عنه أمره إلى مؤذني الجيش أن يقوموا بالأذان في جميع الكتائب فبدأوا اليوم بصلاة الفجر فقام أئمة الكتائب المجاهدون بالأذان والإمامة. وما أن بزغت الشمس حتى أعلنت الجنة حال الطوارىء فأعدت الأسرة الخضراء للشهداء في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما أن جهنم أعلنت حالة الطوارىء للظالمين تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى .

ودارت المعركة بين المسلمين والفرس لكن الفيلة كانت تطارد الإبل لأن من عادة الإبل إذا رأت الفيلة ولت مدبرة. وعندئذ قال القعقاع بن عمرو التميمي : لكي نجعل الإبل تغلب الفيلة لا بد أن نلبس وجوه الإبل برقعاً حتى يبدو كأنه جان ولما برقعوا الإبل ولت الفيلة مدبرة أمامها باذن من يقول للشيء كن فيكون فدارت المعركة ثلاثة أيام وعند غروب شمس اليوم الثالث كان أحد رجال الصاعقة المسلمين وهو هلال بن علقمة رضي اللّه عنه في خيمة رستم وانقض عليه كالأسد فقتله ثم قال اللّه أكبر اليوم قتلت عدو اللّه رستم ولما وصلت الأخبار إلى جيش الفرس بقتل قائدهم ضعفت نفوسهم ونحلت عراهم فولوا مدبرين فركب المسلمين أكتافهم وأعملوا السيف في رقابهم وتمت كلمة ربك بالحسنى على اتباع الرسول محمد ﷺ وبينما المعركة كانت دائرة في القيادة العليا على الجبهة الفارسية كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يتضل كل يوم بربه يدعوه وقال المؤرخون أن النوم لم يزر أجفان عمر في هذه الأيام وكان يخرج إلى خارج المدينة وأبوابها ليلاً ونهاراً ينتظر البريد الحربي من الميدان وقالوا أن أجفان عمر تقرحت من قلة النوم وبينما عمر رضي اللّه عنه ينتظر وإذا برجل يركب فرسه ويدخل المدينة يجري فسأله أمير المؤمنين عمر والرجل لا يعرف أنه أمير المؤمنين وقال كيف حال المسلمين يا أخي ؟

فقال له الرجل أبشر بنصر اللّه يا أخا الإسلام وأخذ الفارس يجري قاصداً دار القيادة في بيت الخلافة وأخذ عمر يجري وراءه إلى أن أوقفه الناس وقالوا له أمير المؤمنين يجري وراءك

فانتصب الفارس فوق فرسه لما علم أن أمير المؤمنين كان يجري وراءه وقال له ألتمس العفو يا أمير المؤمنين فقال له أمير المؤمنين لا بأس عليك يا أخي كيف حال اخواننا في القتال ؟

فقال هي أبشر بنصر اللّه وسلم لعمر الرسالة ففتحها عمر رضي اللّه عنه فإذا فيها من سعدٌ بن أبي وقاص رضي اللّه عنه القائد العام للقوات المسلحة الإسلامية على الجبهة الفارسية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وقال في الرسالة أبشر بنصر اللّه فقد ركبنا أكتاف عدونا وأعملنا فيهم السيف. إن الجيش كان إذا جاء النهار فهم فرسان كالأسود الكواسر فإذا ماجنّ الليل سمعت لهم دوياً بالقرآن كدوي النحل يا أمير المؤمنين لقد استشهد منا رجالٌ سبقونا إلى ربهم ونسأل اللّه أن يلحقنا بهم وما بقي من الجيش رجال يرجون الشهادة في سبيل اللّه ولما انتهى عمر رضي اللّه عنه من قراء الرسالة خرّ على الأرض ساجداً شاكراً للّه تعالى وبكى، فقالوا له يا أمير المؤمنين أتبكي يوم النصر .

فقال عمر رضي اللّه عنه أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك .

وقعت معركة القادسية في شهر شوال من العام الرابع عشر من الهجرة واستراح الجيش ليبدأ معركة أخرى مع فارس هي معركة العبور وهي عبور الجيش الإسلامي لنهر دجلة فلما آن الأوان لخوض نهر دجلة ليذهبوا إلى قصر كسرى في المدائن قال سعد بن أبي وقاص ماذا أنتم فاعلون إن كسرى لو ترك في عاصمة الفرس ؟ إنه لن يتنازل عن معارك أخرى. فكيف تعبرون النهر إليه ؟ فعقد سعد بن أبي وقاص اجتماعاً مع كبار قادة جيشه. فقال له لواء الإسلام عاصم بن عمرو التميمي : أيها الأمير سأخوض النهر بفرسي هذا فإذا رآني المسلمون أخوضه تبعوني وخاضوهُ وإذا بعاصم يشكل كتيبة سماها كتيبة الأهوال وهي أول كتيبة عرفت العبور في التاريخ العسكري وركب عاصم فرسه ووقف على شاطىء النهر وقال بسم اللّه توكلت على اللّه، ونزل بالفرس وإذا بالماء لا يغطي نصف رجل الفرس وعبر عاصم نهر دجلة وتبعه ستون بالخيول وراءهم فرأى ذلك القعقاع بن عمرو أحد الفرسان المغاوير فقال ما منعي أن أخوض النهر كما خاضوهُ فتبعه ستمائة فارس يخوضون وراءهُ وإذا

ببقية الجيش الألوف المؤلفة تخوض النهر بخيولهم ولقد أقسم المؤرخون بالله أنه لم يغرق منهم واحد وكان أهل فارس يقفون على الشاطىء الآخر لا يحركون ساكناً فولوا مدبرين وقالوا إن هؤلاء الناس ليسوا إنساً وإنّما هم من عالم الجن ولما علم كسرى بقرب النهاية ولى فاراً من البلاد ولم يعقب وإذا بالقائد الإسلامي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يدخل القصر وهو حافي القدمين لابساً عمامة قابضاً على لحيته وبيده رمحه يدخل قصراً لم تشهد العمارة له مثيلا ارتفاعه مائة وخمسون متراً وجبهتهُ ستون متراً وفيه السجاد ما تغوص فيه الأقدام وفيه من نعيم الدنيا ما لم يراهُ أحد وفيه سجاد فيها من ألوان الفن ما فيها وإذا بسعد بن أبي وقاص يتلو قول الله تعالى ﴿**أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال**﴾ ودخل القصر وضرب السجاد برمحه وهو يتلو قول الله تعالى ﴿**كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾ وكان في القصر نارٌ تعبد من دون الله فأول أمر أصدرهُ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو أمرهُ للمؤذنين أن يؤذنوا لأول مرة في هذا المكان ووقف المؤذن يقول الله أكبر فلما وصل إلى أشهد أن لا إله إلاّ الله انطفأت نار الشرك بقوة التوحيد وجمعت الغنائم ووزع سعد الغنائم على أفراد جيشه ثم أرسل بنصيب بيت المال إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مع أساور كسرى فاستلمها عمر رضي الله عنه ونظر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له إن قوماً فعلوا هذا لأمناء، فقال له علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين عففت فعفتّ رعيتك، ولو رتعت لرتعت رعيتك.

من يطلب الآخرة

كتب المنصور العباسي إلى جعفر الصادق يقول :

– لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟

– فأجابه :

– ليس لنا في الدنيا ما نخافك عليه .

– ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له .

– ولا أنت في نعمة فنهنيك ولا في نقمةٍ فنعزيك .

– فكتب إليه المنصور :

– تصحبنا لتنصحنا

– فكتب الصادق إليه :

– من يطلب الدنيا لا ينصحك .

– ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

المرء مع ماله

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :

يا نبي اللّه : لا أحب الموت ؟

فقال له : «هل لك من مال ؟»

قال : نعم. قال : قدمه بين يديك .

قال : لا أطيق ذلك .

فقال النبي ﷺ : «إن المرء مع ماله، إن قدمه، أحب أن يلحق به وأن أخره أن يتخلف معه» .

obeikandl.com

الزاد

جاء رجل إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقال :

ما سر زهدك في الدينا ؟

فقال : أربعة أشياء .

علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي .

وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي .

وعلمت أن الله مطلع عليّ فاستحيت أن يراني على معصية .

وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي .

السلطان الشهيد

هذا الحديث عن نور الدين زنكي، نور الدين ابن الشهيد، الرجل الذي مهد الطريق لصلاح الدين، ووضع له الأساس، وشرع له المنهج، وكان إمامه وقدوته في كل خير .

أحد الرجال الذين لم يعرف تاريخ البشرية كلها أطهر منهم نفوساً، ولا أقوم سيرة، ولا أعظم أثراً، اللهم إلا الأنبياء. الذين لا تجد عليهم مطعناً في دين ولا خلق ولا سياسة ولا قيادة، والعظماء من غيرهم إن استكملوا ثلاثاً من هذه الأربع نقصتهم الرابعة. الرجال الذين لا تجد أمثالاً لهم في غير التاريخ الإسلامي : أبي بكر وعمر بن عبد العزيز ونور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، واورنك زيب ومن سار سيرتهم، وسلك طريقتهم .

جاء الشيخان في صدر الإسلام حيث الدين غض، والزمان مقبل، وجاء هذان والزمان مدبر، والدين ضعيف، والعدو الغاصب يملك أكثر من نصف الشام، والمسلمون دول

obeikandl.com

وحكومات، كل بلدة دولة، وكل قرية حكومة. حتى صرخد فقد كان لها امارة وملك واستقلال. وكانت خلافة بغداد اسماً بلا جسم، وخلافة القاهرة جسداً بلا روح، والدولة السلجوقية تصدعت كنجم الفجر، ففي كل جهة منه شهاب. وقد استفحل هذا الداء الذي رمانا به معاوية – رحمه الله – داء توارث الملك، وتمكن وعظم شره، حتى صارت القاعدة في دول الإسلام، لا سيما في بلاد الشام أنه كلما مات ملك، تقاسم أولاده ملكه، كما يتقاسمون أمواله ودوابه. ومن هنا صار في الشام نحو من عشر دول صليبية وإسلامية، وكانت الشام كلها قديماً ولاية صغيرة من دولة الإسلام .

ولم يخل الميدان من امراء أُولي نجدة وبأس، ناوشوا الافرنج ونازلوهم ولم يدعوهم يستريحون يوماً واحداً، امراء السلجوقيين (ألب ارسلان، وقليج ارسلان)، ونتش، وابن عمار، وابن منقذ، وطغتكين، وبوري، وآق سنقر، جد نور الدين. وآق سنقر مملوك لألب ارسلان السلجوقي، بدا نبوغه، وظهر فضله، وسمت به مواهبه إلى محاولة جمع هذه الدويلات في دولة واحدة قوية تنازل العدو الغاصب، الذي أسس في السواحل، وفي فلسطين، دولاً ألقت مراسيها، وطوت أشراعها، وحسبت أنها ستبقى فيها إلى الأبد. ثم جاء من بعده ابنه زنكي، عماد الدين زنكي، العاقل الجريء المحارب البطاش، الذي قتل غيلة فسمّوه (الشهيد) ثم جاء نور الدين .

وكان الافرنج قد ملكوا أكثر البلاد منذ خمسين سنة، لا خمس سنين. وكانوا أعداد الرمال تمدهم اوربة كلها، لا حفنة من يهود. وحسب الناس أنها لن تزول هذه الغمّة، فما هي إلا أن ظهر الرجل الذين نشر راية القرآن، وضرب بسيف محمد، حتى عاد النصر يمشي في ركاب المسلمين، وعاد أمرهم إلى الزيادة، وأمر الصليبيين إلى النقص، وبذلك يكون لنا (كلما شئنا) النصر .

إن راية القرآن لم تهزم قط، ومن هزم من امراء المسلمين في هذا التاريخ الطويل، إنما هزموا لأنهم كانوا يستظلون برايات المطامع والأهواء، والعصبيات والأحقاد، ما استظلوا براية القرآن، وكانوا يضربون بسيف البغي والإثم والعدوان، ما ضربوا بسيف محمد .

انه ما ضرب أحدٌ بسيف محمد ونبا في يده سيف محمد !

لما مات عماد الدين تنفس الافرنج الصعداء، والقوا بأنفسهم على فراش الأمن، يستبشرون يحسبون أنه قد خلا العرين بموت الأسد، ومادروا أنه الآن قد دخل الأسد العرين. ما دروا أنه قد جاء نور الدين .

قتل عماد الدين الشهيد غدراً على أبواب (جعبر). فما بكى ابنه بكاء النساء، ولا ثار بالقاتلين ثورة الصبيان، بل وقف أمام جسد أبيه وقفة الرجل، وأخذ خاتم الملك من اصبعه، وجمع الجنود وتوجه تلقاء حلب، يوطد فيها أمره، ويؤسس فيها ملكه، وأطمع موت عماد الدين الافرنج، وخرجوا كما تخرج الفيران من جحورها إن شهدت مصرع القط، وجاء أمير انطاكية بجنوده يغير على أطراف حلب، وكان اليوم السابع من ولاية محمود نور الدين، فترك حفلات التتويج، وأبّهة الملك، وخرج بجيشه فضرب جيش الافرنج ضربة أطارت من رؤوسهم الفرحة بموت عماد الدين، وفتحت عيونهم رهبة ورعباً، وأعلمهم أن اليوم الذي كانوا يبكون فيه من عماد الدين، سيبكون عليه من نور الدين .

وتلفت حوله، فإذا الافرنج في كل مكان، في كل ناحية لهم ملك وسلطان. وإذا هو يرى العدوان من أقرب الناس إليه : أمير دمشق – وهذه علتنا أبداً يا أيها السامعون. علتنا الانقسام والاختلاف. ولو أننا تركنا الاختلاف بيننا، ما قوي علينا أنس ولا جان !

فركز نور الدين غرضين، ونذر حياته لاصابتهما، غايتين جعل همه كله بلوغهما : توحيد المسلمين في دولة واحدة قوية، وطرد الافرنج من بلاد الإسلام .

بدأ المسعى للوحدة، بتقوية الروابط الروحية فتزوج بنت ملك دمشق ومدبر أمرها، وبنت صاحب قونيه (ابن قليج ارسلان)، ولكنه لقي من أمراء هذه الممالك الألاقي .

جاهره صاحب دمشق بالعداء، وهدده بالاستعانة بالافرنج، فتلقاه بالحلم مع الحزم، وصبر عليه، حتى إذا وقعت الحرب بينه وبين صاحب صرخد، وتصوروا كيف كانت قرية صرخد حكومة مستقلة ! وأراد صاحبها تسليمها للافرنج، استنجد مجير الدين ملك دمشق بنور

الدين، فأعانه وسيّر جيشاً ضخماً يساعده على الافرنج، وذلك في سبيل الغايتين معاً، توحيد المسلمين وطرد الغاصبين. وأوقع بالافرنج وقعة لم ينسوها .

في هذه الظروف يا سادة، جاء الجيش الصليبي الضخم، الذي قدر المؤرخون عدد جنوده بمليون، وهي الحملة الصليبية الثانية، ولم يكن جيشاً واحداً ولكن جيوش أوربة جميعها، جيوش كل أمة فيها، يقوده ملوك وأمراء وبارونات، على رأسهم لويس السابع ملك فرنسا، و(كونراد) ملك ألمانيا. وتوجه من وصل منهم إلى الأرض المقدسة، ونجا من سيوف السلجوقيين، إلى كنيسة القيامة، فصلوا صلاة الموت، وقصدوا دمشق. وأصبح أهل دمشق يوماً، وإذا جيوش الافرنج في المزة، وفسطاط ملك الألمان في الميدان الأخضر (الملعب البلدي) وخيمة ملك فرنسا في ميدان الحصا (الميدان). فهبت دمشق، ولدمشق المؤمنة المجاهدة هبّات تَشْده التاريخ، واستنجد صاحبها بنور الدين في حلب، وأخيه سيف الدين في الموصل، فأقبل الشقيقان بالجيش اللجب، وقابل المسلمون أوربة كلها، وردّوا جيوشها عن دمشق. وقد أتى شبابها ومتطوعوها من البطولات الأعاجيب .

وقفل الشقيقان بلادهما. وتركا دمشق لصاحبها .

ومات ملك دمشق، ومال القوم بعده إلى الافرنج حسداً لنور الدين، واستعانوا بهم عليه، فلم يجد بداً من حصار دمشق. فضرب عليها نطاقاً من السهم والنيرب، ومن المزة وحجيّرا والقدم. وضرب خيمته في عيون فاسريا في (دوما) وامتدت جيوشه إلى الضمّير ولكنه لم يقاتل أهلها، ولم يستحل أن يريق دم واحد من المسلمين. وجاء الصليبيون لنصرتها فردهم، ولم يكن يطلب مالاً. ولا يطلب حكم البلد، بل كان كل مطلبه أن يضم جيش دمشق إلى جيشه ليحارب الصليبيين .

وكانت سيرة نور الدين قد ملأت كل قلب محبة له، وكل لسانٍ ثناءً عليه، فقام أهل الشام على ملكهم ونقبوا السور لنور الدين من جهة الباب الشرقي، فدخل من حيث دخل خالد بن الوليد من قبل، واستقبلوه بالهتاف والأهازيج :

نور الدين يا منصور ، وبسيفك فتحنا السور

وبقي هذا الهتاف بذاته في دمشق إلى اليوم يهتفون به في المظاهرات ولا يفهمون مأتاه .

واستسلم مجير الدين، فلم يقتله ولم يعاقبه، وإنما تركه ينفي نفسه من الشام، ويرحل إلى العراق .

وكان جوسلان، بطل الافرنج، وفارس فرسانهم، وحامي حماهم، قد أغار غدراً على ضواحي حلب وكسر حاميتها، ورجع بالنصر والكبر والغنائم والأسلاب. وكان نور الدين قد ألّف عصائب من أشداء التركمان، فأرسل عصابة منها إلى جوسلان، فذهبت وغامرت مغامرات (الكومندوس) حتى انتزعته من فراشه، وجاءت به غنيمة باردة، فألقته تحت رجل نور الدين ! فكان وإياه كما قال ابن كلثوم :

فآبـــوا بالغنائم والسّبايـــا
وابنا بالملـــوك مصفّدينـــا

وكانت حياته سلسلة متصلة الحلقات من المعارك المظفرة، فتح قلعة حارم بعد ما لبثت سبعين سنة وهي حصن الافرنج، تجرع المسلمين الصاب والعلقم. واستعاد الرُّها (اورفة)، وطهر الداخل أكثره من الافرنج، ولما توجهوا تلقاء مصر، وعلم أن الوزير فيها (شاور) قد خان أمته، بعث قائده شيركوه (أي أسد الجبل) فذهب وهو وابن أخيه صلاح الدين، ففتحا له مصر وطردوا الافرنج من دمياط .

أخذ البلاد وهي دول وإمارات، كل بلد دولة، وكل قرية حكومة، وتركها وهي دولة واحدة، تشمل الشام ومصر وعالي الفرات، وما ظلم أحداً، ولا قتل مسلماً، ولا أراق الدم الحرام .

وأشهد أني قرأت تواريخ عظماء الشرق والغرب، فما رأيت بعد الصحابة مثله، وشهد هذه الشهادة من قبل المؤرخ ابن الاثير .

حقر الدينا، وزهد في أبهة الحكم، وبريق السلطان، ونذر نفسه لله، للغايتين اللتين سعى إليهما : وحدة المسلمين وقهر الافرنج، وما حاد قط عن طريقهما .

وكان قائداً منقطع النظير، له قلب ملؤه الإيمان، فلا يعرف الجزع الطريق إليه، وكان يقول : لو كان معي ألف فارس لا أبالي العدو، ووالله لا أستظل بظل جدار أبداً. اعترضه مرة نهر الفرات، فابتغى مخاضة دلّه عليها دليل تركماني، فخاضه والجيش كله من ورائه فانهزم الأعداء من الدهشة والرعب، قبل أن يهزمهم وقع الحسام .

ورأوه يوم حارم منفرداً عند التل ساجداً يمرغ وجهه بالتراب، يناجي ربه يسأله النصر، ثم أخذته الحال، وارتفع صوته يتضرع ويقول : اللهم انصر دينك، لا تنصراً محموداً (يعني نفسه) ومن هو محمود الكلب حتى ينتصر ؟

فنصره الله ذلك النصر المؤزر، وما كان معه إلا قطعة من الجيش، وكان جيشه في مصر .

وكان يأسف على أنه لم يرزق الشهادة، ويقول : تعرضت لها غير مرة فلم تتفق لي، ولو كان فيّ خير، ولي عند الله قيمة، لرزقت بالشهادة .

وهذه (يا أيها السادة) منزلة الايمان والصلة بالله لم يبلغها كثيراً من الزهاد والمتعبدين .

ترك الأذان بـ (حيّ على خير العمل)، وهي بدعة الفاطميين، وعاد إلى الأذان الشرعي .

وكان يتبع السنة ويقف عند حدود الشرع، منع الخمر في بلاده، وأزال المنكرات، رفع الضرائب والمغارم. وكان في عدله آية الآيات. وقف مع خصمه أمام القاضي الشهرزوري. وأنشأ في دمشق دار العدل. وأقام البيمارستان النووي (مدرسة التجارة الآن)، وكان مستشفى كأرقى مستشفيات الحضارة اليوم. وملأ الدينا بالمدارس ودور الحديث، ومعاهد الخير. ولبناء المستشفى قصة طريفة : أسَر مرة ملكاً من ملوك الافرنج، فسأل أن يفتدي نفسه، فقبل منه الفداء، وأخذ منه ثلاثمئة ألف دينار، خصصها للمستشفى ولدار الحديث النورية .

وكان ليالي السلم ينام قليلاً ثم يصحو، فيلبس الصوف. ويأتي المسجد خفية فيصفّ فيه قدميه، مصلياً وذاكراً إلى الفجر، ويمضي ليالي الحرب في المناجاة والتضرع .

يا أيها الناس : إن مررتم بسوق الخياطين فوصلتم المدرسة النورية، (وقد كانت منزل

هشام بن عبد الملك)، فقفوا على قبر هذا الرجل العظيم، الذي كان ولياً زاهداً في ثياب قائد، وكان عالماً في ثياب ملك، وكان واحداً من الستة الذين لم يعرف مثلهم تاريخنا .

هذا الرجل الذي وحّد البلاد، وطهرها من الافرنج، ووضع الأساس الذي قام عليه بناء صلاح الدين، فقولوا : رحمك اللّه يا نور الدين !

ويا أيها الناس : كلما دهمكم خطب جديد، أو هبَّت عليكم من نحو فلسطين عاصفة عدوان، فاذهبوا إلى نور الدين وإلى صلاح الدين، لا تسألوهما العون والنصر، فما في الوجود ميت يعين حياً، ولست أدعو إلى شرك باللّه، ومانصر إلا من عند اللّه، ولكن لتذكروا أنها قد حاقت بفلسطين من قبل مصائب أكبر من مصيبة يهود، ونزلت بها نوازل أشد، واجتمعت عليها أوربة كلها، وأقامت فيها دولاً لبثت أكثر من مائة سنة، وكنا على حال من التفرق والضعف والجهل شر مما نحن عليه اليوم، وقد انجلت مع ذلك الغمَّة وانزاح البلاء، وصارت حكومات الافرنج التي عاشت في القدس وفي أطراف الشام، قرناً كاملاً، صارت خبراً ضئيلاً، يتوارى خجلاً في زاوية من زوايا التاريخ، لا يدري به أكثر السامعين – وسيأتي يوم قريب يقول فيه مدرس التاريخ لتلاميذه : إن اليهود قد أسسوا مرة حكومة في فلسطين، وَهمّ العرب أمرُها، ونال العرب شرُها، ثم ذكروا أين طريق الخلاص فخلصوا منها على أيسر حال .

الطريق (يا سادة) أن يظهر في العرب نور الدين جديد، ينشر راية القرآن التي لم تنهزم قط، ويضرب بسيف محمد الذي لا ينبو أبداً .

فانشروا راية القرآن واضربوا بسيف محمد، تطردوا يهود، وتعيدوا مجد العرب .

جمع الدين والدنيا

علم شامخ من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة الفقه الكبار، أصحاب المذاهب المتبعة، وأحدُ أفراد الدنا علماً وذكاء، ونبلاً ورفعة، وسخاء وكرماً، أجمعوا على أنه نظير الامام مالك في الفقه، وعديله في الاجتهاد، وأنه كان لمصر مثل مالك للمدينة، لا مفتي ومالك في المدينة، لا مفتي وهو في مصر، وهو أعظم جاهاً من مالك، وأكثر مالاً وأوسع دنيا، بيد أن اللّه قيّض لمالك من دوَّن علمه، وكتب مسائله، وحرر مذهبه، فصار أحد المذاهب الأربعة الباقية. وذهب مذهبه فيما ذهب من المذاهب التي كانت يوماً معروفة متبعة مقلدة، وكاد يُنسى اسمه فلا يعرفه إلا العلماء، على حين يعرف أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد كل مسلم .

فهل عرفتم الآن من هو ؟

هو الذي جمع اللّه له الدنيا والدين، والجاه والتقى، وكان سيّد مصر، أمْرُه قبل أمر الولاة، وحكمه فوق حكم القضاء، وكان دخله من أملاكه ما بين عشرين وثمانين ألف دينار في العام، (ثمانين ألف ليرة ذهبية)، ولم تجب عليه زكاة قط، لأنه لم يكن يحول عليه الحول، وعنده منها شيء .

هو الامام العالم الليث بن سعد .

ولد في قرية مصرية سنة ٩٤ للهجرة، أي قبل نحو ألف وثلاثمائة سنة، ولم يشغله غنى أهله عن طلب العلم، والرحلة به، لا كما يرحل أكثر الطلاب الآن إلى أوروبا وأميركا، بل كما يرحل السلف، يرحلون ليتلقوا العلم، ويتلقوا قبله الدين والتقى والسلوك الإسلامي، ويجتمعوا بالعلماء العاملين، الصالحين والمصلحين، وقد أخذ عن علماء مصر، ثم حج ولقي أئمة الحجاز عطاء بن أبي رباح، وهشام بن عروة بن الزبير، وقتادة وأمثالهم، ثم رحل إلى

العراق فأخذ عن علمائه .

وهاكم قصة طريفة من قصص دراسته .

حج هو وابن لَهِيعة، قاضي مصر ومحدثها، ولقيا العلماء معاً، وكان من علماء الحجاز نافع مولى ابن عمر، فرآه الليث فعرفه، ولم يكن يعرفه ابن لهيعة فتبعه حتى دخل دكان علاف، فسلم عليه، فقال له : من أنت ؟ قال : من قيس ؟ قال : ابن كم ؟ قال : ابن عشرين. قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين، ثم قعد معه فحدّثه أحاديث وأذن له أن يروي هذه الأحاديث عنه .

فرآه ابن لهيعة، قال : من هذا ؟ قال : مولى لنا. وتعرفون أن المولى في اللغة من أسماء الأضداد، فالسيد مولى، والتابع مولى، فأوهم ابن لهيعة لئلا يشاركه الرواية عنه .

فلما رجعا إلى مصر، صار الليث يقول، حدثنا نافع عن ابن عمر، فأنكر عليه ذلك ابن لهيعة، وقال : أين لقيته ؟ فضحك وقال : أما رأيت العبد الأسود الذي كان في دكان العلاف ؟ هو ذاك !

وبلغ منزلة في الحديث والفقه شهد له فيها أكابر العلماء .

قال الشافعي : الليث أفقه من مالك ولكن أصحابه لم يقوموا به. أي لم يدونوا علمه فضاع مذهبه واندثر .

وقال أحمد بن حنبل : ما في المصريين أثبت من الليث، وكان يقول : الليث بن سعد، ما أصح حديثه !

وروى عنه مالك ولم يصرح، وكل ما كان في الموطأ من قوله «وأخبرني من أرضى من أهل العلم» فإنما يعني به الليث بن سعد .

وكان الشافعي يقرأ في درسه مسائل الليث، فمرت مسألة فقال أحد الحاضرين : أحسن والله وكأنه كان يسمع مالكاً يجيب فيجيب هو، فقال ابن وهيب : بل كأن مالكاً يسمع

الليث يجيب فيجيب هو. واللّه الذي لا إله إلاّ هو ما رأينا أفقه من الليث .

وعرض عليه المنصور ولاية مصر فأبى وأصر على الاباء، فقال : دلني على رجل صالح، فقال : عثمان بن الحكم الجذامي .

أفتدرون بم كافأه عثمان، لما جاءته الولاية كرهها وتألم منها، وسأل من دلّ أمير المؤمنين عليّ، قالوا : الليث.. فحلف ألا يكلمه أبداً، لأنه سبب له هذا الأذى، يعني ولاية مصر يا أيها السامعون ..

هكذا كانت أخلاق علمائنا وصلحائنا .

وقال يعقوب وزير المهدي : قال لي أمير المؤمنين، لما قدم الليث بغداد، إلزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه .

ومعنى ذلك بعرف العصر، أن الخليفة أمر وزيره الأكبر، بمرافقته بنفسه، أيام زيارته (العاصمة) .

وكان له مع الخلفاء حوادث طريفة، منها أنه جرى بين هارون الرشيد وبين بنت عمه (زوجته) زبيدة كلام، فقال لها : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة .

ثم ندم، فكتب إلى البلدان، فجمع علماءها إليه، فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم، فاختلفوا. وبقي الليث لم يتكلم، فسأله، فقال إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه. فصرفهم، فقال. أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم، فأمر باحضار مصحف فأحضر، قال اقرأ يا أمير المؤمنين سورة الرحمن فقرأها حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ .

قال : أمسك يا أمير المؤمنين، قل : واللّه ..

فصعب على الرشيد أن يحلّفه، فقال الشرطَ يا أمير المؤمنين : فحلّفه بأشد الأيمان، أنه يخاف مقام ربه. فلما حلف، قال : هما جنتان يا أمير المؤمنين لا جنة واحدة .

فسمع التصفيق وصياح الفرح من وراء الستر .

وسأله ماذا تطلب، قال : يا أمير المؤمنين، أما لنفسي فقد أغناني اللّه بفضله، ولكن أطلب

صلاح بلدنا، وصلاحه باجراء النيل وصلاح أميره .

فأمر أن يكون والي مصر وقاضيها تحت أمره، وكان إذا رابه من أحد شيء كتب فيه فيعزل .

من ذلك أن قاضي مصر اسماعيل بن اليسع لا يرى، لزوم الوقف، فكتب فيه : «إنا لم ننكر عليه شيئاً ولكن له رأياً في الوقف لا نرضاه» فورد كتاب الخيفة بعزله .

فلما جاء العزل، قال له : يا ابن الحارث، لقد أتعبت نفسك، واللّه لو أمرتني بالخروج لخرجت .

وكان له كل يوم أربعة مجالس : مجلس يأتيه فيه الوالي ونوابه يسألونه ويستزشدون برأيه، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس للفقه، ومجلس لأصحاب الحاجات .

وكان يعيش معيشة الملوك، وقد قوّمت ثيابه مرة ودابته بثمانية عشر ألف درهم أي بألف دينار ذهبي، وكان لبّاساً .

وكان إذا رحل، رحل بثلاث سفائن : سفينة له ولأضيافه وتلاميذه، وسفينه لعياله، وسفينة لمطبخه وخدمه .

وقال كاتبه (سكرتيره) عبد اللّه بن الصالح : صحبت الليث عشرين سنة، فكان لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس، ولا يأكل إلا الألوان الكثيرة باللحم الوافر، وكان كل من جاءه من التلاميذ، يأكل وينام، وينفق على حسابه، لا يكلفه من ماله شيئاً، وإذا أردا السفر، أعطاه نفقته وزاده .

وكان يتخذ الفالوذج والحلوى لأصحابه، ويضع فيها الدنانير، ليرغبهم بذلك في الأكل ويغنيهم .

وكانت له موائد عامة للناس، يطعمهم فيها الهرايس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء، وباللوز والسكر في الصيف .

وكان يعطي العلماء، رواتب دائمة، منها مائة دينار للامام مالك، وكتب إليه مرة أن عليه

ديناً فبعث إليه بخمسمائة دينار، وكتب إليه مرة إخرى : «إني أريد أن أزوج ابنتي فابعث لي بشيء من عصْفرِ». وكان يومئذ غالياً، وكانوا يصبغون به الثياب ويسمونها المُعَصْفَرات... فبعث إليه بثلاثين جملاً محملة عصفراً فصبغ لابنته وباع منه بخمسمائة دينار، وبقيت عنده فضلة ..

ولما حج أهدى إليه مالك طبقاً فيه رطب، فأخذه ورد الطبق وفيه ألف دينار !

ولما احترقت دار ابن لهيعة أعطاه ألف دينار، ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار .

وأتاه مرة سائل فأمر له بدينار، فأبطأ الغلام فجاء سائل آخر، فقال له الأول : اسكت. فسمعه الليث، فقال : مالك وله ؟ دعه يرزقه اللّه وأمر له بدينار آخر .

قال منصور بن عمار (القاضي) : كنت يوماً عند الليث فأتته امرأة ومعها قدح فقالت : يا أبا الحارث زوجي مريض وقد وصف له العسل، قال : اذهبي إلى الوكيل فقولي له يعطيك. فجاء الوكيل يسارّه، فقال : اذهب فأعطها مطراً (أي مائة وعشرين رطلا) إنها سألت بقدرها، فأعطيناها بقدرنا .

واشترى منه قوم ثمرة بستان له ثم ندموا واستقالوه (طلبوا الرجوع عن البيع) فأقالهم، ثم استدعاهم فأعطاهم خمسين ديناراً، وقال : أنهم كانو أمّلوا ربحاً، فأحببت أن أعوضهم .

لقد كان الليث بن سعد، يا أيها السامعون والسامعات، نموذجاً لطراز من العلماء، نتمنى أن نعود فنرى أمثاله في هذ العصر .

أن نرى علماء يكون لهم مثل هذا العلم، وهذه الأمانة في نقله، وهذا العقل الكبير، وهذه الكياسة في معاشرة الملوك، وهذه المنزلة وهذا الجاه، وأن يكون لهم (خاصة) مثل هذا المال الذي يستغنون به، المال الذي يحصلونه بجدّهم وكدّهم، لا الذي يجمعونه بمد أيديهم إلى الناس، وأن يكون لهم مثل هذا الكرم .

وتوفي الليث يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ١٧٥ وعمره إحدى وثمانون سنة على التمام .

قال خالد بن عبد السلام الصدفي : شهدت جنازة الليث مع أبي، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها، ولا أظن أنه سيكون أعظمُ منها أو أكثر من أهلها، ورأيت الناس كلهم في جنازته، سواء في الحزن، يعزي بعضهم بعضاً ويبكون .

فلت : يا أبت، كأن كل واحد من هؤلاء هو صاحب الجنازة !

فقال : يا بني، كان عالماً كريماً، كبير العقل، كثير الأفضال، يا بني لن ترى مثله أبداً .

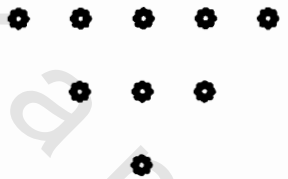

تم بحمد الله تعالى

obeikandl.com

الفهرس

المقدمة	3
شيخ من دمشق	5
معرفة الله –جليس الفقراء	13
قدوة صالحة –مكارم الأخلاق	14
عظة للحكام	16
أسلوب حكيم في موعظة العاصي	17
أبطال عقيدة وجهاد	18
كرامة الفقهاء	20
الملك يزول وملك الله لا يزول	20
عزة العلم	21
عبدي المؤمن	22
كيف تقرأ القرآن الكريم	22
دعاء – لك منه بقية دينارك	23
وصية	23
منك يا اسماعيل	24
كل أحد أفقه منك يا عمر	25
من كلام علي بن أبي طالب	26
أصول الخطايا	27
معن بن زائدة	28
أفضل الأعمال	29
ثلاثة – جئتم بسيآتي فقط	30
الأوائل	31
طلق خمس نسوة	32
ثلاثة – العبد ينسى	33
دعاء	34
المتكلمة بالقرآن	35
صفاء القلوب	36
الوقت-إضاعة الوقت	37
حديث الأبرص والأقرع والأعمى	38
قدوة حسن	39
مع رائدة العدالة الاجتماعية	40
هكذا عاملناكم يا أهل الكتاب	40
زهد الفاروق – الفطرة السليمة	41
قلب الإنسان- اكتبني في العميان	42
عاتبت كريما فأغناني	43
مثل عليا – مشهد مبارك	44
سؤال القبر –أم المؤمنين	46
الحسنة بعشر – الفتاة المسلمة	47
دعني من سجعك – مائة جلدة	48
ورع الأمراء	49
إلى بيت مال المسلمين	49
عفة المؤمن – إمام الفقه والجهاد	50
عفة وفقر – أنواع العارفين	51
محاسبة النفس	52
الإخلاص – أهدى حسناته	53
الأسرة الصالحة	53
رجل من أهل الجنة – صفات الله	55
أيها الراكب – القمر	56
قالوا في المرأة	57
أينما تكونوا يدرككم الموت	57
كلام دقيق – الاستغفار	58
عزة العلم – بيت الله – غرور العلم	59
أكرم الناس – تارك الصلاة	60
لو أنصف الناس	61

مصرع الظالمين 62
وإنك لعلى خلق عظيم 62
زيارة الوداع 63
عدالة إسلامية 64
من حكم ابن عطاء السكندري 64
كم يساوي الملك 65
حكمة ووقار 66
مع أميرنا علي – هذا هو علي 67
أخلاقنا في بر الوالدين 67
يملك و لا يشتهي- علماء مجاهدون 68
مناجاة – غيرة الزوجة 69
خشية الله – ظلال القرآن 70
الرضا – أسفار الصالحين 71
ستار العيوب 72
الجنة تحت أقدام الأمهات 73
ورع الخلفاء 73
الوصايا العشر 73
قلوب عامرة بالحب الإلهي 74
إلهي – نصائح قاضي 75
الصلاة على النبي شفاء 76
فضل الصلاة على النبي (ص) 76
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون 77
وصايا العارفين 79
محاورة شعرية 80
الدعوة بين القول والعمل 80
ثماني مسائل 81
ظننتك ساهرا 83
أبو حنيفة يرد على الملحدين 83
موت القلب 88
ثلاثة مفيدات 89
أخلاق المسلمين – هكذا كنا 90
حديث قدسي- سأهز الراية ثلاثا 91
قسمة مباركة – مع أولياء الله 92
إمام دار الهجرة 97
حديث جريح 98
مشهد من أحد 99
العزة بالإسلام 100
أوذي فكظم وعفى فاعتق 100
نصيحة 100
إمامة راشدة – حكمة الله 101
ثلاثة بثلاثة –سماحة وأخلاق 102
عمر والكرامة 103
عزة الحق – العلم يدعو للإسلام 104
حسرة – ولا تركنوا إلى الذين ظلموا 105
علماء مخلصون 106
يقضي ليهودي على أمير المؤمنين 107
يا عابد الحرمين 107
مخافة الله 108
تصوير بارع للدنيا 109
إن داري ما احترقت 109
الجنة بيت المؤمنين 110
محبة الصحابة 110
أمثال في الصبر 111
أنا لا أخشى على الجيش من عدوه 111
من يطلب الآخرة 116
المرء مع ماله 117
الزاد – السلطان الشهيد 118
جمع الدين والدنيا 125
الفهرس 131